الدكتور أحمد هيكل

أصداء الناي

شعر



دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة


أصداء الناي
شعر

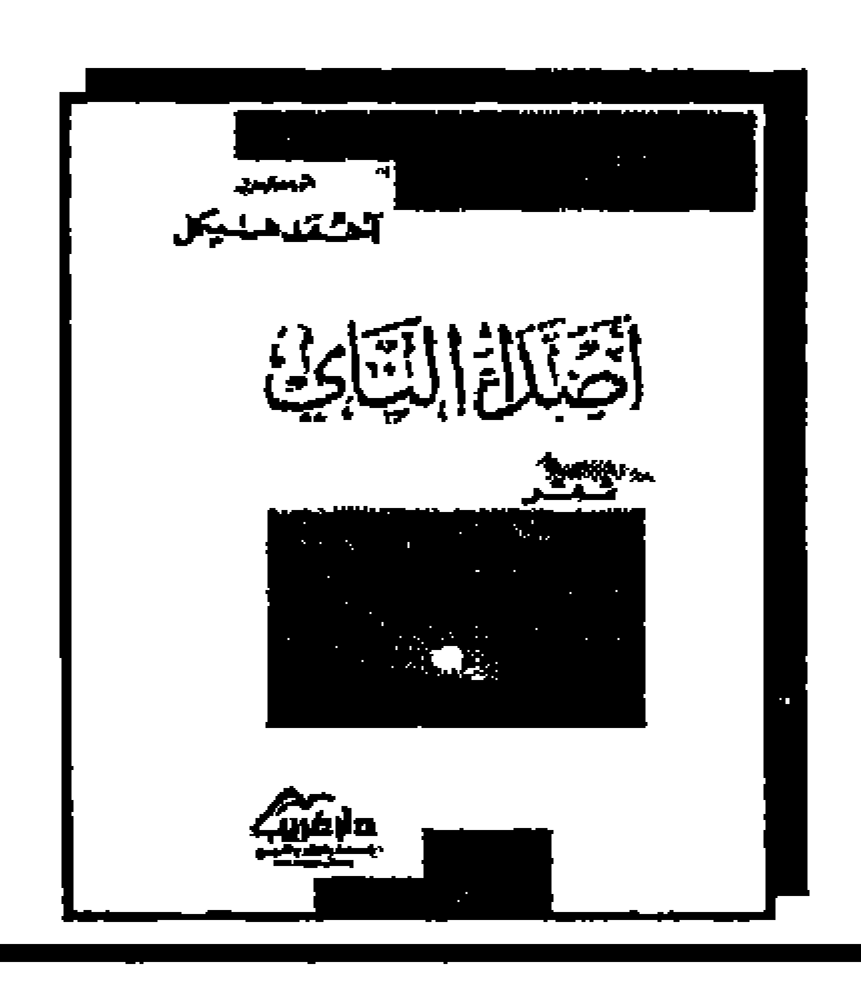
الدكتور أحمد هيكل



شعر

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م





الكتـــــاب: أصداء النـاي

المؤلــــف: د. أحمد هيكل

تاريــخ النشر: ٢٠١٠ م

الطبعـــــة: الأولى

رقــم الإيداع: ١٩٢٧ / ٢٠١٠ م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-463-062-0

الناشــــر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والمطابع:

١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)

تليفون: ٠٠٢٠٢٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٢٧٩٥٤٣٢٤

التوزيـــــع:

٣ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٢٥٩١٧٩٥٩

www.darghareeb.com

أستاذى الدكتور أحمد هيكل

... في رحاب الله

كنتَ -وستظلّ- منارة هاديةً نقبس منها قيما خلقيةً رفيعة...

وها أنذا أرد ذرة مما لكم عليَّ - وعلى أجيال كثيرة - من أفضال؛ بطبع تراثكم المتفرد.. وفاءً لكم، وتقديراً لأفضالكم.

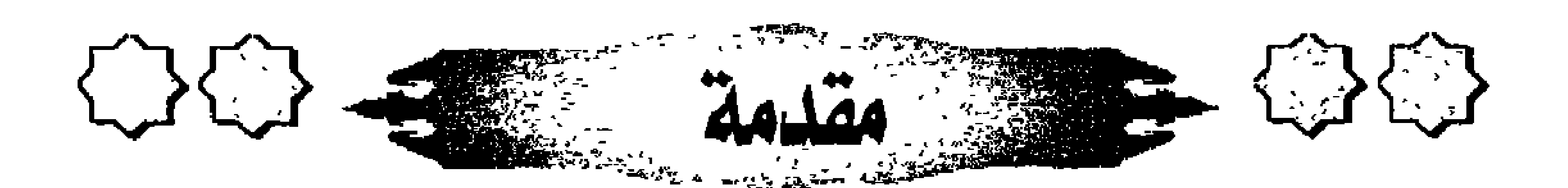
تلميذك

الدكتور محمد عبد العزيز الموافى

إهـــــــداء

إلى روح أمي في جوار الله..
فهي التي فجرت في قلبي الحنان وصدق الوجدان،
فوجهتني - دون قصد - إلى الشعر ومعاناته النبيلة،
وعذاباته المسعدة الجميلة.

أ. هـ



مقدمة

-١-

منذ حداثتي آثرت الشعر من بين فنون الأدب. واشتد تعلقي به حتى أصبح أحب فنون القول إليّ وأسبقها إلى قلمي.. وقد رأت بواكيري الشعرية النور في الأربعينيات، حين نشرت بعض ما كتبت في الرسالة والثقافة وصحيفة دار العلوم، كما ألقيت بعض قصائدي في مهرجانات بمسرح الأزبكية والإذاعة المصرية، وندوة ناجي رحمه الله.

وأوشك الشعر أن يصبح طريقي المحدد في دنيا الأدب... ثم تحول مساري بعض الشيء- أو اتسع - حين أوفدت- أول الخمسينيات- إلى إسبانيا للتخصص في البحث الأدبي ونيل درجة الدكتوراه في الأدب الأندلسي... فمنذ ذلك التاريخ أصبح البحث والدرس والنقد ميدان عملي الذي يأخذ القسم الأكبر من نشاطي، ولكن الشعر ظل- مع ذلك- يمثل حبي الأول الذي له نبض القلب وخفق الشعور ودفء الإفضاء!! فكنت أقع تحت تأثيره الطاغي كلما جاشت العاطفة بحدث وطني أو قومي، وكلما رفعت حرارة الوجدان تجربة نفسية أو روحية.

وكان هذا التأثير الطاغي لا يخف إلا إذا ترجمته إلى عمل شعري، أسعد بعد إنجازه سعادة لا تعادلها إلا عذابات حمل التجربة قبل أن تعرف الميلاد... وكنت أحيانًا أخرى أطوي بعض ما أقول، وأرى أنه يكفيني منه سعادتي به حين عبَّر عني.. واستمر الحال على ذلك سنوات طويلة قد تبلغ الثلاثين، تجمعت خلالها بين أوراقي قصائد عديدة، نشر بعضها ولم ير بعضها النور.

وكان الأصدقاء والزملاء القدماء يسألونني عن شعري كلما عرضت مناسبة ويذكرونني بقصائد مما نشر لي منذ سنوات، وتجاوز بعضهم السؤال والتذكير إلى ما يشبه اللوم والتقريع، لما كان مني من إهمال هذا الشعر وعدم جمعه ونشره في ديوان.

وفي بعض ساعات المراجعة، وبتأثير هذه المشاعر الكريمة من بعض الزملاء والأصدقاء، رحت أقلب أوراقي المنسية، ورأيت أن أختار من شعري ما أطمئن إليه، وأن أضم ما اخترته في كراسة على شكل مرتب. فاجتمعت لي من ذلك طائفة لا بأس بها من القصائد، أخذ يتنازعني بشأنها عاملان، الأول الإحجام عن نشرها نظراً لطول العهد ببعض القصائد، والثاني الرغبة في إذاعتها حفاظًا عليها، وتحقيقًا لرغبة المحتفين بها.

وأخيراً.. حسم الأمر صديق كريم شاعر وتفضل فحدث في شأن هذه المجموعة الأخ الشاعر الكبير الأستاذ/ صلاح عبد الصبور- وهو رئيس

الهيئة المصرية العامة للكتاب- الذي تحمس بدوره، وطلب إليّ مشكوراً أن أوافيه بالمجموعة الشعرية في أقرب فرصة، وهكذا لم يعد لي مجال للتردد.

-٢-

والشعر الذي تضمه هذه المجموعة شعر تباعدت فترات إنتاجه، فالبدايات في أواخر الأربعينيات، والنهايات في أواخر السبعينيات، ومنه ما قيل أيام سيطرة الشكل العمودي وغلبة النزعة الرومانسية، كما أن منه ما كتب أيام ازدهار الشكل الحر وسيطرة النزعة الجديدة.

ولذا تجيء هذه المجموعة معبرة عن صاحبها أولاً، وممثلة لأهم النزعات الشعرية التي اتجه إليها الشعر المصري المعاصر ثانيًا . فصاحب هذه المجموعة لم يقف عند مذهب في جمود، ولم يتشبث بنزعة في تعصب، وإنما عبَّر عن تجاربه بما رآه ملائمًا لها، ومواكبًا لروح الفترة التي عبَّر خلالها.

-٣-

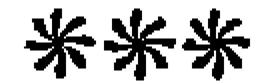
والشعر - في رأيي- تعبير جميل موسق بالكلمات، عن تجربة وجدانية صادقة، يقصد إلى غاية إنسانية نبيلة، فدعائم الشعر- كما أرى- ثلاثة، وهي التجربة الوجدانية الصادقة، والتعبير الجميل المموسق، والهدف الإنساني النبيل.

وعلى الرغم من أن الموسيقى في الشعر عنصر أساسي من عناصر التعبير، فإن تلك الموسيقى لا يلزم- في رأيي- أن تكون من نوع الموسيقى التي قعد لها الخليل بن أحمد، فمن الممكن أن تكون كذلك، ومن الممكن أيضًا أن تكون موسيقى فيها حرية، بحيث لا تلتزم تساوي عدد التفاعيل في كل بيت، ولا تتشبث بقافية موحدة في نهايات كل أبيات القصيدة أو الفقرة من القصيدة، فمادامت الموسيقى قد تحققت بتحقيق التفعيلة، وبتردد لون من التقفية يوفر الإحساس بالإيقاع، فهذا كاف- في رأيي- لتحقيق عنصر الموسيقى الضروري للشعر.. على أن مخالفة القاعدة العروضية الخليلية لا يخرج العمل الأدبي- الذي تتوفر فيه عناصر الشعر- عن أن يكون شعرًا؛ لأن تلك القاعدة قاعدة جمالية، شأنها أن تتطور وتتغير من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى آخر، وقد حدث هذا التطور والتغير فعلاً في شعرنا القديم، كما يشهد بذلك العصر العباسي، وكما يشهد به أيضًا الإقليم الأندلسي.

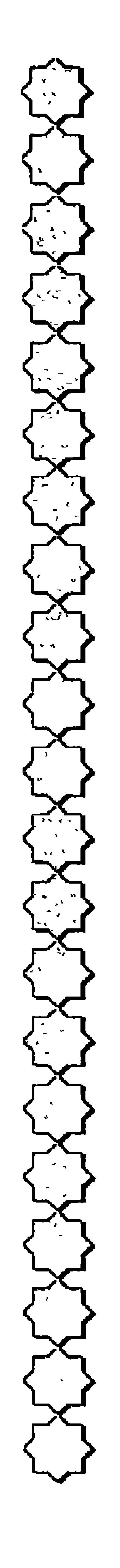
ومن هنا جاءت بعض قصائد هذه المجموعة من شكل الشعر الحر، وهذا البعض قليل بطبيعة الحال، أما أكثر القصائد فقد جاءت على الشكل العمودي المتطور؛ لأنه هو الشكل الذي نشأ الشاعر عليه، وصقلت ملكته به، وتعود القول منه.

وبعد- فأرجو أن يرى القراء في هذه المجموعة ما يرضيهم، كما أرجو ألا يروا الشاعر فيها وقد طغى عليه الباحث، وألا يروا الفنان وقد حجبه العالم، فقد عشت- حياتي- أعتز بالشاعر في داخلي، وأرى أنه حقيقتي.

د. أحمد هيكل




وجدانيات





الفرحة الكبرى

[إلى روح الحرية التي عادت إلى بلدي الحبيب]

دَعِي عَيْنَيَّ في عَينيكِ ترتاحان في الظل الحنونِ

فيا كَمْ عاشتا بالسُّهدِ تحترقان في نار الحنين ! !

ويا كم طافتا في أَوجُهِ الدنيا وآلافِ العيون

عَسَى أَنْ تَلْمَحَا يومًا سناكِ الحلوَ في ليل الشجون

وَبَعْد اليأْس قد أَلقت مراسيها بمرفئها سفيني

وكانت فرحة اللُّقيا التي داوت جراحات السنين

وَغَنَّتْ في شغافِ القلب أَطْيارٌ نَديَّاتُ اللحون

وَرَفَّت في حنايا الصدرِ أَزهارٌ على خُضرِ الغصون

دعيني أَلمس الماضي وأُحْييه بأَهْداب الجفون . .

دعيني أَجْمع الأَشْلاءَ مِنْ عمري ومن شعري دعيني !

(*) إسبانيا سنة ١٩٧٤م .

دَعيني أَنتَشِي من عطرِكِ المُنْسَابِ مِنْ نَفحِ الجِنانِ
فقد عايشتُ هذا العطرَ حتى صار روحًا في كياني
ولَمَّا غاب عِشتُ القهرَ والحرمانَ مَوْءُودَ الأَماني
وعانيتُ اغترابَ الروحِ، سجنَ النفسِ، تمزيقَ الجَنَان
تَغُوصُ سنابكُ الأَيَّام في صدري كميدان الطعان
ولا أقوى على الشكوى، وحَسبي في عذابي أَن أُعاني
فحتَّى الآهةُ الخرساءُ كانت مِنْ مَحاظيرِ الزمان ! !
فكيفَ إِذَنْ يبوح الشِّعْرُ أَو يَقْوَى على الشكوى بياني ؟ !
دعيني أَنشق الأَنسامَ من واديكِ صداح الأغاني
دعيني فالذي قد ضاع من عمري ومن شعري كفاني ! !

***

دعيني أحتمي في الواحةِ الخضراءِ مِنْ بَعْدِ الهجيرِ
أُغَنِّي طائرًا في أَفْقكِ المنسوجِ مِنْ عطرٍ ونور
وأَروِي روحِيَ العطشَى بما تُهديه أنفاس الزهور

وأشدو مِنْ لُحونِ الحُبِّ ما يَبْقَى على مَرِّ الدهور

عزاءً للذي عاقَتْه عند الشط أهوال البحور

وَسَلْوى للذي قد عاش سجنَ الليل يَثْقُبُ في الصخور

فإن الفلك بالإصرار والإيمان تَحْظَى بالعبور..

وإن الليل مهما امتدَّ مُبتسِمٌ عن الصبح المنير!!

وإنَّ الفرحة الكبرى ثوابُ اللهِ للحُب الكبير!!

***

جنتي وأحزان الخريف

تركتكِ محزونًا ورُحْتُ بِلا قلبِ

فقد هام في مغناكِ ينبض بالحُب

وكنتِ رُبًا غَنَّاءَ تَختالُ نُضْرَةً

وتَمرحُ غُدرانًا بِسَلْسَلها العذب

وكنتِ غُصُونًا راقصاتٍ تعانَقَتْ

على الزهر الفواح والثمر الرَّطب

وكنتِ ظِلالاً حانيات تلأْلأَتْ

بساحتها الأَنداءُ ماسًا على العُشب

وكنتِ مَلاذًا للطيور صوادحا

بأَعذب ما يُشجِي القلوبَ وما يُصبي

وكنتِ سماءً للنجوم سواطعا

(*) سنة ١٩٧٨م.

ومــجــتــمَعَ الأهل الميــامين والصَّــحب

وكنتِ نســيــمًــا يُفــعِمُ الروحَ عِطرُهُ

كــأنفــاس مــحــبــوب تهــادى إلى الصَّبٍّ

وكنتِ جــمــالاً يأســر القلبَ ســحــرُهُ

وكنتِ هَوَى العُــشَّــاقِ في الشــرق والغــرب

لذلك لَمَّا غَــرَّبَتْنى مــقــادري

«تركــتكِ مــحــزونًا ورحتُ بلا قلب»

***

ومــا كنتُ أدري مــا يُخَــبَّــأُ في الغــيبِ

فــأَحْــسَــسْتُ أَنِّي باغــترابِيَ في جُبٍّ

وَأَنِّيَ إِذْ غــــادرتُ قلبِي وَجَنَّتِي

أَمــوتُ على بُعــدٍ وأحــيــا على قُــرْب

يُمَــزِّقني عــات من الشــوق جــارفٌ

كــأَنّ الســهــام الســود تُحْطَمُ في جَنبي

فطاوعتُ أشواقي وأسرعتُ عائداً

كعودةِ طيرٍ للفضاءِ وللسِّرْب

أُقبِّلُ لَهْفَانَ الجوانح أرضَها.. !!

وأَمزج فيها دمعَ عينيَ بالتُّرْبِ

وأَحلم أَنْ أَنْسَى عليها مواجعي

فحسبيَ أَنْ أَحْيَا على أَرْضِهَا حَسبي

ولكنَّني فتَّحتُ عيني فما رأَتْ

من الجنة الغنّاء غيرَ أسى الجدب

وغيرَ هشيم كن بالأَمس دوحةً

وغيرَ نثير الشوك يُدْمِي خُطا الدرب

فقد راح أحبابي وأُفْرِدْتُ بَعدهم

«وما كنتُ أَدري ما يُخبَّأُ في الغيب»

***

إِلَهِي، ومـا لِي غـيـرُ بابك ياربـي
أَلـوذ بـه إمّـا تَـعـاظمـني خطبـي!!
وَشـرُّ خطوب الدهر أَنْ تُقـهـر المُنَى
وتَلْقَى عـذابَ الوأْد مِن غـيـر مـا ذنب
وأَقْـسى عـذاب أن يُرى المرءُ عـاجـزاً
حِـيـالَ الدواهي السـود حـتى عن العُـتْبِ
وَأَدْهَى الـدواهِي الـسـودِ إقـفـارُ جَنَّةٍ
من الـصَّـاحِب المأمـول والأَخ والتِّـرب
وأَنْكَى من التَّـغْـرِيبِ عَـيْـشُك مُـفْـرَدًا
بـأَرضك مـحـرومًـا من الودِّ والحُبِّ
حَنَانَك ياربي، ورفـقًـا بمهـجـةٍ
تَـبـيتُ على يأْسٍ، وتـصـحـو على كـرب
دعـوتُك يا «رحـمن» فـامْنُنْ بـرحـمـةٍ
وَضَـمِّـد جـراحًـا أَعـجـزتْ حِـيلَ الطبِّ

ويَا «فـــالق الإِصـــبـــاح» من حـــالك الدُّجَى

أفِضْ نـورَك الهـــادي على ظُلمـــةِ الدَّرب

وإنـــك تـــدري أنـــنـــي بـــك لائـــذٌ

«إلهي، ومـــا لي غـــيـــر بابك يـاربي».

***



ملاك..!!

يَا مَلاَكًا أنارَ أُفقَ حياتي

بَعْد ليلٍ مُرَوّع الظلمات

أنتِ أَشرقتِ في فؤاديَ فجراً

عبقريّ الضياء حلوَ السِّمات

فرأيتُ الحياة تَسْبَحُ في النُّورِ

... وتشدو بأَعذب الأغنيات

وَنَسِيتُ الأحزانَ والدمعَ واليأْسَ

... وعِفْتُ الأَسَى وعفتُ شَكاتي

وَمَضَى قَلْبِيَ اليتيمُ يُغَنِّي

كهزارٍ مُجَنَّح النغمات

(*) سنة ١٩٥٨م .

وعيوني التي مللن دموعي

قد أضاءت بضاحك النظرات

وشفاهي التي احترقن زفيراً

قد تندَّت بصادق البسمات

إنَّهُ كأسُكِ المُشَعْشَعُ بالطُّهْر

... سقاني الهوى فَغَيَّر ذاتي

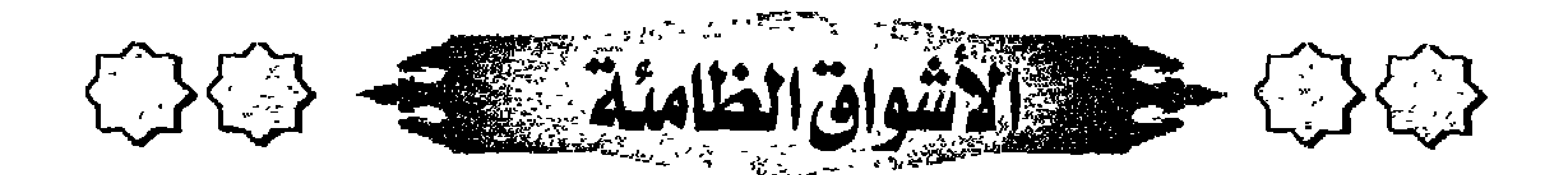
إنه رُوحُكِ المعيدُ ليَ الروح

... كبعث الربيعِ رُوحَ النبات

إنه قلبُكِ المضيءُ هداني

«يا ملاكاً أَنَار أفق حياتي»

***



[من أحزان الصبا]

يا مـالئَ الكاسـاتِ أفـراحًـا إلامَ تَرُدُّ كَـأْسِي

ظمـأى بِكَفِّي لا تفـيض بغـيـر أتراح ويأس؟!

أَنَا غـرْسُ كَـفِّكَ فـارْوِ أَشـواقي ونَدِّ ذُبولَ نفـسي

وابسط ظِلالك، فالهجَيرُ يكاد يُسْلِمُني لِرَمْسِي!!

إنْ كـانَ حَظِّي في رَبيع العـمـر تصْوِيحي ويُبْسِي

أو كـان حَظِّي في ضُحَى الأيام إظلامًـا لشـمـسي

فـمتى أكَحَّل بالضـيـاء ويَرْشُفُ الأنداءَ غرسي؟

أَئِذَا الشـتـاءُ أَتى ليَـحْطِم كلَّ مـا يَلْقَى بفـأْس؟

أَمْ حين يَدْهَمُني الظَّلاَمُ جَـحَـافِلاً والليلُ يُمسي

رُحْمَاكَ لا تَجْعَل مناحة مـأتمي في يوم عُرْسِي!!

***

أَنَا شَاعِرٌ زَادِي الحبيبُ، فأَين مِنْ عيني الحبيبْ؟
يُهْدِي إِليَّ الفكرةَ العذراءَ في اللحن الطروب
ويُفَجِّرُ الإِلهامَ في قلبٍ تَحَسَّاه النُّضُوب
ويُعَلِّمُ الأفراحَ نايا ما دَرَى غَيْرَ النَّحِيب
ويُشِيعُ ألوانَ الربيع بريشَةٍ فيها شُحوب
ويَريشُ أجنحتِي لأَصْعَدَ قابسًا وَحْيَ الغيوب
وأعيشَ كالأَطْيَارِ في جَو كآمَالِي رحيب
قالوا: ابتَسمْ، فالعمر كأسٌ إِنْ أُريقتْ لا تَئُوبُ
فَهتَفتُ: سَوْفَ أُريقُهَا، ولَسَوْفَ أَحَطِمُ كُلَّ كوب
أنا شاعرٌ زادِي الحبيبُ، فلن أعيش بلا حبيب

***

كم فاضَ نايي المُلْهَمُ الشَّادِي بِسِحْرِيِّ الغنَاء
وانسابَ قيثارِي الطروبُ بِمِثْلِ أَلحانِ السَّماء

وأذَبْتُ خَفّاقِي لُحُونًا ساكبًا فيها دمائي ! !

وحَسِبْتُ أَنَّ قَوافِلَ الأحبابِ يَجْذِبُهَا حُدائي

وتلفَّتَ الأَمَلُ المشوقُ إلى عرائسه الوِضاء

فإِذَا لُحُونِيَ لَمْ تَجِدْ أُذْنًا ولم تُسْمِعِ سِوائي

وإذا رِياضِيَ بَلْقَعٌ ما عُوِّدتْ غَيْرَ العُواءِ

فَرَحِمْتُ شِعْرِي أنْ يكون صَدًى بأسْمَاعِ الفضاء

ووأدتُ نايِي واللحونَ، وأدتُ قيثاري عزائي

أنا صَيْدَحٌ حُرمِ الأَليف، فَمَنْ أُطَرِّبُ بالغناء؟ !

قلبي، لَقَدْ عَزَّ الدَّوَاءُ وَلم أَجِدْ ياقَلْبُ طِبَّا

قلبي، وإنَّك كاليتيم على الأسى والحزنِ شَبَّا

ليت الَّذِي سَوَّاكَ حِسًّا كان قد سَوَّاكَ طُلْبًا

بل ليت مَالَكَ مِنْ شُفُوفٍ كَان أستارًا وَحُجْبا

حتى تَصُدَّ عَنْ الهَوى وإذا دعاكَ الحسنُ تأبى

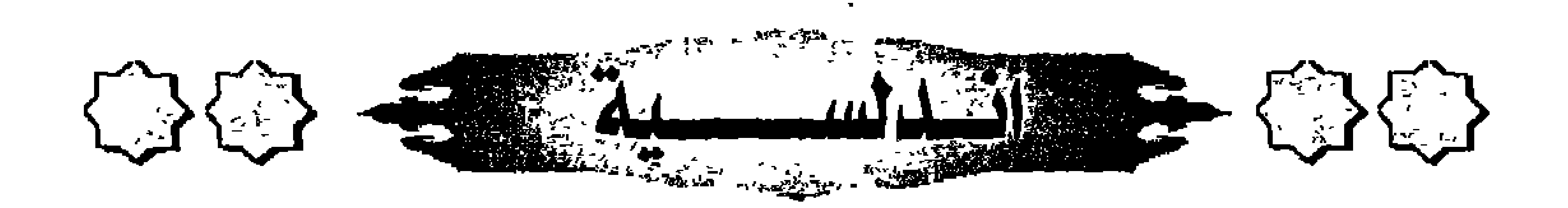
وتكون في أَمْنٍ إذا شَنَّ الجَمَالُ عليك حَرْبا

قلبي، لكَ الله الذي سَوَّاك أشْوَاقًا وَحُبًّا

وجَوًى وتَهْيَامًا، كأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ لِكَي تُحِبَّا

قَلبي عزاء، إن تكن تَرَكتْ لِيَ الأيَّامُ قَلْبا!!

***



هيفاءُ كالغصنِ الرطيب تَبسَّمتْ فيه الزهورْ

بيضاءُ مثلُ اليَاسَمِينِ يُضيء في الروض النضير

ونديَّةٌ كالطَّلِّ يَمْسَحُ جبهةَ الصبح المنير..

وَشَذِيَّةٌ كالورد يَسْطعُ بالجمال وبالعبير

وشَجِيَّةٌ مثلُ التناجِي الحلو أو شدوِ الطيور

ورقيقةٌ مثل النسيم إذا تَعَطَّر في البُكُور

ورشيقةٌ مثل الفَراشِ يُخالُ أزْهَارًا تطير

وعميقةٌ كالنبع دَفَّاقًا مِنَ الصَّافِي النَّمِير

ووديعةٌ مثل الحَمَام مرفرفًا حول الغدير

ورفيعةٌ كالشمس تخطو فوق هامات البدور

(*) سنة ١٩٥٨م .

وبريئــةٌ مِــثْل السَّنَا في نظرة الطفل الغــرير

ووضيئةٌ مثل الهُدَى يَصْحُو بومضته الضمير

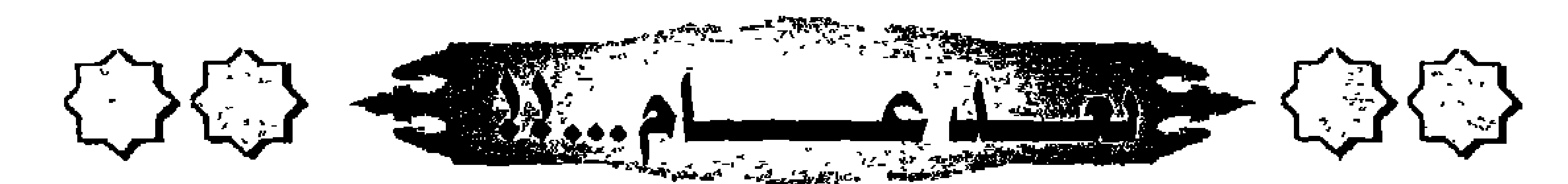
وَحَبيبــةٌ كالعذبِ لاحَ لظامئ بين الصخور

وخَصيبةٌ كالحُبِّ تُورق من بشاشته الصدور

هي واحةٌ القلب الذي صهرتْه نيرانُ الهجير

هي معبدُ الرُّوح السَّنيِّ وكعبةُ الحُبِّ الطَّهور

***



[في ذكرى قديمة]

ونائيةٍ هيهاتَ أَلْقَى ديارَها

وأشفِي بلقياها جراح مشاعري

فقد بَعُدَتْ حتى كأنَّ مَزارَهَا

مُحالٌ، وإنْ كانت بقلبي وخاطري

تعجبتُ مِنْ عام تَقَضَّى وإنَّه

لَفِي عُمُرِ الأَيَّامِ حَسْوةُ طَائِر !!

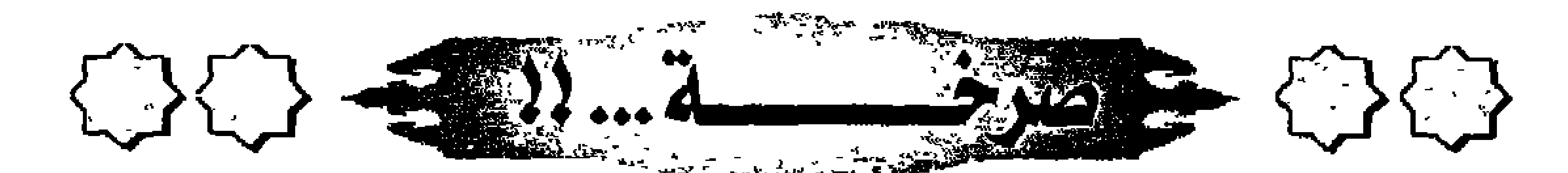
أَحِسُّ به دَهْرًا مَشَى فوق مُهْجَتِي

بأَقْدَامِ جَلادٍ وَسِكِّين جازِرِ !!

فغادرني أشلاءَ قلبٍ مُمَزَّقٍ

ولم يُبْقِ مِنْ مَاضِيَّ شَيْئًا لِحَاضِرِي !!

(*) سنة ١٩٥٦م.



صرخة...!!

[من اغتراب الشباب]

يا رَبِّ أَيْن طَرِيقي ؟

وأين أين رَفِيقي ؟

طَرَحْتَ رُوحي بسجنٍ

مِن الظَّلامِ الصفيق

ولم تَدَعْ لِي أنيساً

سوى أَسَايَ العميق

وثورةٍ في دمائي

تضجُّ عَبْرَ عروقي

وأَدْمُع ناضباتٍ

يزدن نار حريقي

ونظرةٍ أجهدَتْها

مماطَلاتُ الشروق

وخافقٍ في ضلوعي

لهفان مثل غريق

لا يستريح بمثوًى

تحت الخِضَمِّ سحيق

ولا يَقَرُّ بِشَطٍ

جَمِّ الحنان رقيق

فبات يدعو وأدعو

«يارب أين طريقي» ؟!

***

أضعتُ كنز شبابي

على أمانٍ كِذاب

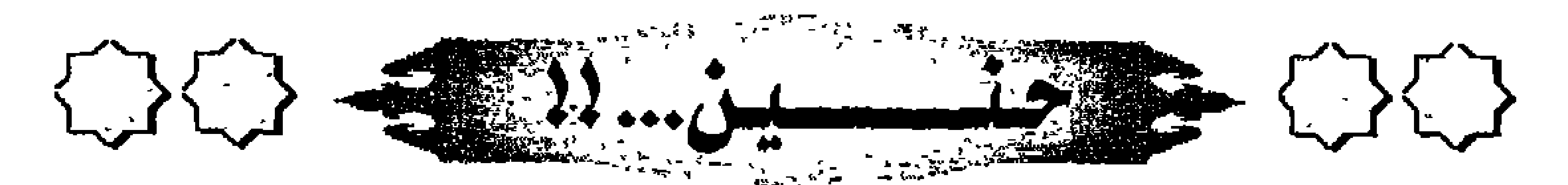
وعشتُ أمشي بقلبي

على الصخور الصِّلابِ

وأَنْثُرُ العُمرَ بَذْرًا...
على أديم اليباب
لعلَّ دوحًا ظليلاً
أَنْسَى عليه عذابي !!
لعلَّ نَبْعًا رطيبًا...
يَرِقُّ فيه شرابي
وكاد فَرْطُ اشتياقي
يُطيرُني من إهابي
فما وجدتُ بقفري
سوى خداع السراب
سوى هجير وشوكٍ
ووحدةٍ واغتراب
لا ظلَّ أَهْفُو إليه
لا نبع يُطْفِئ ما بي

وفـــــــــــــادحُ الـــرُّزْء أَنّـــى
«أَضـــــعتُ كنـز شـــبـــابـي» !!

***



[في لهيب الغربة]

طَالَ يا ليلُ عن النيل غِيابي !

فمتى تُشرقُ يا فجرَ إيابي ؟

ومتى أَجثُو على تلك الروابي ؟

أُلثم الأرضَ وأهلي وصحابي !!

***

هاهنا حَوْلِي جَنَّاتٌ وحُورْ

وأَغَاريدُ وكاساتٌ تدور...

غير أني باغترابي في هَجِير

ظامئ الوجدان لهفان الشعور

(*) إسبانيا سنة ١٩٥٣م.

إِنَّهُ الشوق الذي شَبَّ أُوارا
وأَطَارَ القلبَ مِنْ صَدْرِي شرارا
وأحال الروضَ مِنْ حولي قِفَارا
ليس فيها غيرُ آهاتٍ حيارى!!

***

إنها مصرُ.. وقد شاء هواها
أَنْ يَرُدَّ النَّفْسَ عن حُبٍّ سِوَاهَا!!
لا تَسَلْنِي السِّرَّ وَاسْأَل مَنْ بَراها
أَيُّ سِحْرٍ كَامِن طَيَّ ثَرَاهَا...؟!

***

أي سِحْرٍ في مياهِ النيل يَسْرِي؟!
أضياءٌ دَافِقٌ أَمْ ذَوْبُ تِبْر؟!
أَمْ رحيقٌ مِنْ جِنان الخلد يَجْرِي؟!
رَشْفَةٌ مِنْهُ أفدِّيها بعمري؟!!

أيُّ سِحرٍ في الضِّفَافِ الحَالِمَاتِ؟!
ضَمَّت النيلَ بِأيدٍ ناعِمات
فسقاها مِنْ كئوسٍ مُتْرَعَات
عَربَدَتْ مِنْهَا عُطورُ الزهرات!!

***

أيُّ سِحْرٍ في ظِلال الهرمِ؟!
ولياليه نَشَاوَى الأَنْجُمِ؟!
حين يرنو البَدْر خَلْفَ القِمَمِ
مِثْلُ نَبْعٍ مِنْ لُجَيْنٍ عائم...!

***

أَيُّ سِحْرٍ رَفَّ فِي تلك الحقول؟!
طَلَّهَا الصُّبْحُ ووشَّاها الأصيل
والنبات الغضُّ في رفقٍ يَميل
لاثِماً للزَّهْرِ في ظِلِّ النخيل!!

أيُّ سِحْرٍ مِنْ خَمِيلاتِ الورودِ ؟!
مائساتٍ في شُفوف وبُرود
حالياتٍ بأفانينِ عُقُود
لِلهَوَى في ظِلِّها أحلى مُهود !!

***

أيُّ سِحْر في النُّسَيْمَاتِ الرِّقَاقِ ؟!
مُستحمَّاتٍ على الطَّلِّ المُراق
وطيورُ الصبحِ تلهو في انطلاق
شادياتٍ بينَ آهاتِ السواقي !!

***

هذه دنيايَ بل محرابُ فَني
وَهْيَ فردوسي الذي فيه أُغَنِّي
وَهْيَ إلهامي الذي إن غاب عني
أُخرِسَ القيثارُ أو شُرِّدَ لحني !!

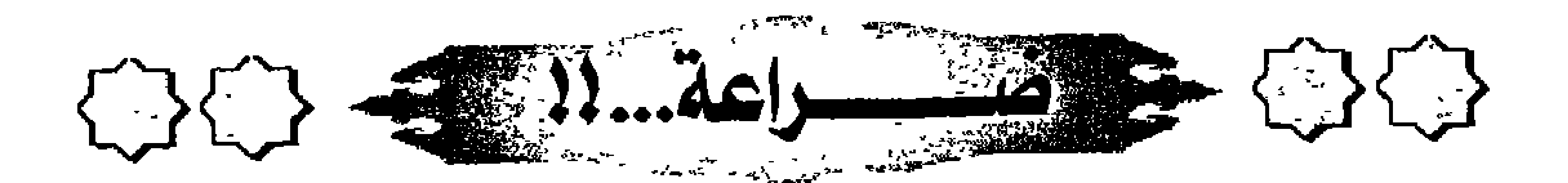
هـذه شـــــمـــــسي الـتي تجـلـو ضـــبــــــابي

وتُـشـــــيع الـدفءَ في قـلـب شــــبـــــابـي

ذاك يـالـيـلُ، فـــــهـل تَـسْـــمَعُ مـــــا بـي؟

«طـال يـالـيـلُ عـن الـنـيـل غـــــيـــــابـي!!»

***



ضـــراعة...!!

إلى بابكَ المأمولِ أسرعتُ يا ربيِّ
تطُوفُ به روحي ويَطْرقُهُ قلبي
ظَمِئتُ وَهَذا نبعكَ العذبُ سَلْسَلاً
فَدَعْ مُهْجَتِي تَرْوَى مِن السلسل العذب
جَفَانيَ مَنْ سَاقيتُهم صَافِي الهوَى
وأَعَرَضَ أحبابي وأنكرنِي صَحْبي
وأُفردتُ إلا من مرارةِ غُصَّة
وآلام سهم قد تكسَّر في جنبي
فجئتُك لا أَبغي مزيداً لأَنعُم
فحسبيَ ما أوليتَ من أنعمٍ حسبي!!

(*) سنة ١٩٧٩م.

وجئتك لا أخشى عواقب زَلَّةٍ

فعفوك يارحمن أكبرُ من ذنبي

ولكنَّني أشكو اغترابًا ووحدة

تُشرِّدُ أيامِي وتُظلم لِي دربي

وإنَّك تدري أنَّ نَفْسيَ روضةٌ

يَفيِءُ إليها كلُّ شاكٍ من الجدبِ

وأَنَّ ضميرِي مثلُ صُبْح منوّرٍ

وأَنَّ فُؤادي مثل نبع من الحُبِّ

فهب لي سلام الرُّوح وارحم مواجعي

فليس أمامي غير بابك ياربي !!

***



رسالة إلى ابنتي عزة

[عن أيام لندن الرمادية ولياليها المقرورة]

إليك ياصغيرتي السلام والعناق والقُبلْ

تطيرُ في مُعَطَّر الأثير

لكي تَضُمَّ بالحنان مهدك الصغير

كما تَضُمُّ مهجةُ الربيع سوسنهْ

إليك من أبيك فيض حُبْ

إليك ذوب قلب . . ! !

وبعدُ يا صغيرتي أُريد أن أقول ألف شَيْء

وأنتِ يابُنيَّتي صغيرهْ

وكيف تَفْهَمين ما أَقُولْ ؟ !

وكيف تَعذُرِين لو بكيتُ أو شكوتْ ؟ !

(*) لندن - سنة ١٩٦٣م .

بأن للكبارِ أدمُعًا كأدمع الصغارْ
وأَنَّ للرجال حَنَّةً كحنَّةِ الفطيمْ
ولوعةً كَلَوْعَةِ اليتيمْ؟!

***

ورغم ذاك يا بُنيَّتِي
أريد أن أقول أيّ شيء
أريد أَنْ أَصيح، أَنْ أَنُوحْ!!
وكلُّ مَنْ سِواكِ سوف يُنكر الحديثْ
ويُكثر الملامْ
ويَخْلُقُ الفروضَ والشروح للكلام

***

بُنَيَّتِي، أبوكِ هاهنا غريبْ
يعيش وَسْط عالم عجيب

يعيش بين أُمَّةٍ بلا قلوب

تــصـــــــــوّرِي ! !

أبوكِ مَنْ عَرَفتهِ يعيش كي يُحِبَّ أو يُحَب

يعيش هاهنا بلا صديقْ ! !

أتعرفين ما السبب ؟ ؟

لأنه بلون نيلنا الحبيبْ

لأنه من الأماجدِ العرب

فلونُنا وجنسنا وسَمْتُنا

تقوم كالجدار حولنا

وتَصرفُ القلوب عن مكاننا

كأَنما يُرادُ أن نكون غيرَنا

وأَنْ نُبَدِّل الجلود والسِّمَاتِ هاهنا ! !

***

بُنيَّتِي أبوكِ هَا هُنا وحيد
يعيش وسْط عالم بليد
وأُمَّةٍ من الحديد والجليدْ
سماؤهم كئيبة تَعافُها العيونْ
وتقْشَعِرُّ مِن خَبيئها الظنون
سماؤهم كمنجمٍ قد انكفأْ
ليملأَ الحياةَ بالضبابِ والدخانْ
ونُورهم بأُفقهم قد انطفأْ
وخَلَّف الظلام
فَأُفْقُهم جنازة تُشَيِّعُ الضِّياءْ
ومَأتمٌ يَنُوح في غياهِبِ المساءِ
وشَمْسُهم مقرورة ككتلة الجليدْ
شُعاعها ارتعاشة العُريان في الشتاء
ودفئها اختلاجة الحياةِ في حُشاشة الغريق

وذاكَ لو تُرى

فقلما تُريدُ أن تُرى

كأنَّها لبردها تَلُوذُ بالغمام، تَدَّثِرْ

وتختفِي عن العيون خشية النظر

كهارب يواصل السُّرَى

مُشَرَّدٍ على الجبال والذُّرى

وصُبْحُهم كقصةِ الجنين إذ يموت في المخاض

فَصُبحهم مساء!!

وصيفهم شتاءْ!!

***

ودُونَ صُبح، دُون دفءٍ، دون نورْ

يعيش أهل هذه البلاد في حُبورْ

بفضل ما يُخَيِّلُ الغرورُ من سيادة البحارْ

وأنهم كبارْ

وحُلم مُلكٍ لا تغيب عنه شمس

وأنَّهم يُحَرِّكُون في الوجود كلَّ شَيء

ويصنعون كالإله كلَّ شَيء

لَشَدَّ ما يُمَثِّل الغُرورُ بالعقول !!

فإنهم كوهمهم صغارْ

وضِحكةُ الكبار والصغارْ

فقد صحا النيامُ واستبان كلُّ شيء

وبان أنَّ هؤلاء لا يرون أيّ شيء

ففوقهم سماؤها كمنجم قد انكفأ

ليملأ الحياة بالضباب والدخان

ونورهم بأُفقهم قد انطفأ

وخلّف الظلام

***

بُنَيَّتِي ، وذاك بعض ما يضجُّ بالفؤاد من عذاب

وما يطوف بالخيال من مفزّع الصور

ومن هنا ترين أسطري حزينهْ

كئيبة تشيع في سطورها الدموعْ

لذاك ياصغيرتي سأختم الحديثْ

فإنني أخاف أن يكون ما أَقولْ

معذِّبًا لقلبك الصغيرْ

فمعـــــــــذرة ! !

وفي الختام يا بُنيتي أُعاود القُبل

أكررُ العناق ، والسَّلامْ

***



من قاع الجب...!!

يا مَنْ أَنبتُّمْ فيَ حَلْقِي شوكَ الصَّبَارْ

ينمو في وادي الملح القاحلْ

يُسْقَى من نبع المُرِّ القاتلْ

يُدْمِي حتى الآهات الخَرْسَاءْ

يُعْطِي كلَّ الأشياء مذَاق المُرّ

أَوْ يَمْحُو طَعْمَ جميعِ الأشياءْ

***

يامَنْ حَوَّلتُم أَيَّامِي ليلاً مِنْ غير نَهَارْ

يَمْضِي بِي فِي جُب داجٍ من غير قرار

في قلبي منكمْ جُرحٌ لا يُبرأْ

(*) سنة ١٩٧٢م.

في صدري نارٌ لا تُطْفَأ
بُرْكانُ عاتٍ لا يَهْدَأ !!

***

لكنِّي أحْيَا رغمَ الشوكِ ورغمَ المُرْ
أَحْيَا رغمَ اللَّهَبِ العَاتِي فِي الصَّدرْ
أَحْيَا رَغْمَ الجرح الدامي في القلبْ
أحْيَا رغمَ التِّيهِ الدَّاجِي في أعماق الجُبّ
فالقلبُ بصدري لم يَسْكُنْ بعدْ
مازال يَدُقُّ كأجْرَاسِ الميلادْ
كي يُعلِنَ أَنِّي أَعْبُرُ لحظةَ ميلاد
ميلادِ المارد يخرج مِنْ سجن القُمْقُمْ
والرَّأْسُ على جَسَدِي لم يَسْقُط بَعدْ
ما زلتُ أَبِيَّ الجبهةِ مَرفُوعَ الرأْسْ

ويدي مازالت مثل الأمس
مازالت تَقْدِر أنْ تَعْلُوَ بالسيفْ
مازالت تقدر أن تهوي بالفأسْ

***

وبِرُوحِي يَحْيَا أُوزوريسْ
ولذا لو مَزَّقْتُمْ جِسْمِي إِرَبا
لو أشعلتم عظمي حطبا
لو فَرَّقْتُمْ ذَرَّاتِي في أرجاء الأرضْ
سأعُود كعودةِ أوزوريس
سأُحِيلُ المُرَّ القاتلَ شَهْدا
وأَصُوغُ الشوكَ الدامِي وَردا
وأَرُدُّ إلى الأشياء مذاق الأشياءْ
وأُرقرِقُ أسنَى فجر مِنْ ليل الظلماتْ

وأُفَجِّرُ أَحْلَى لَحْنٍ مِنْ قَلْبِ الآهاتْ

وأُقيمُ عَلى طَلَلِ الجُبِّ الدَّاجِي جَنَّهْ

تَنْسَابُ إِليها أنهارُ الشَّمْسْ

يمتد عليها ظِلُّ الحُبّ

تتعانق فيها أغصان الزيتون

وتفيض بفرحة آمال بيضاءْ

تمحو أحزان اليأس السوداء

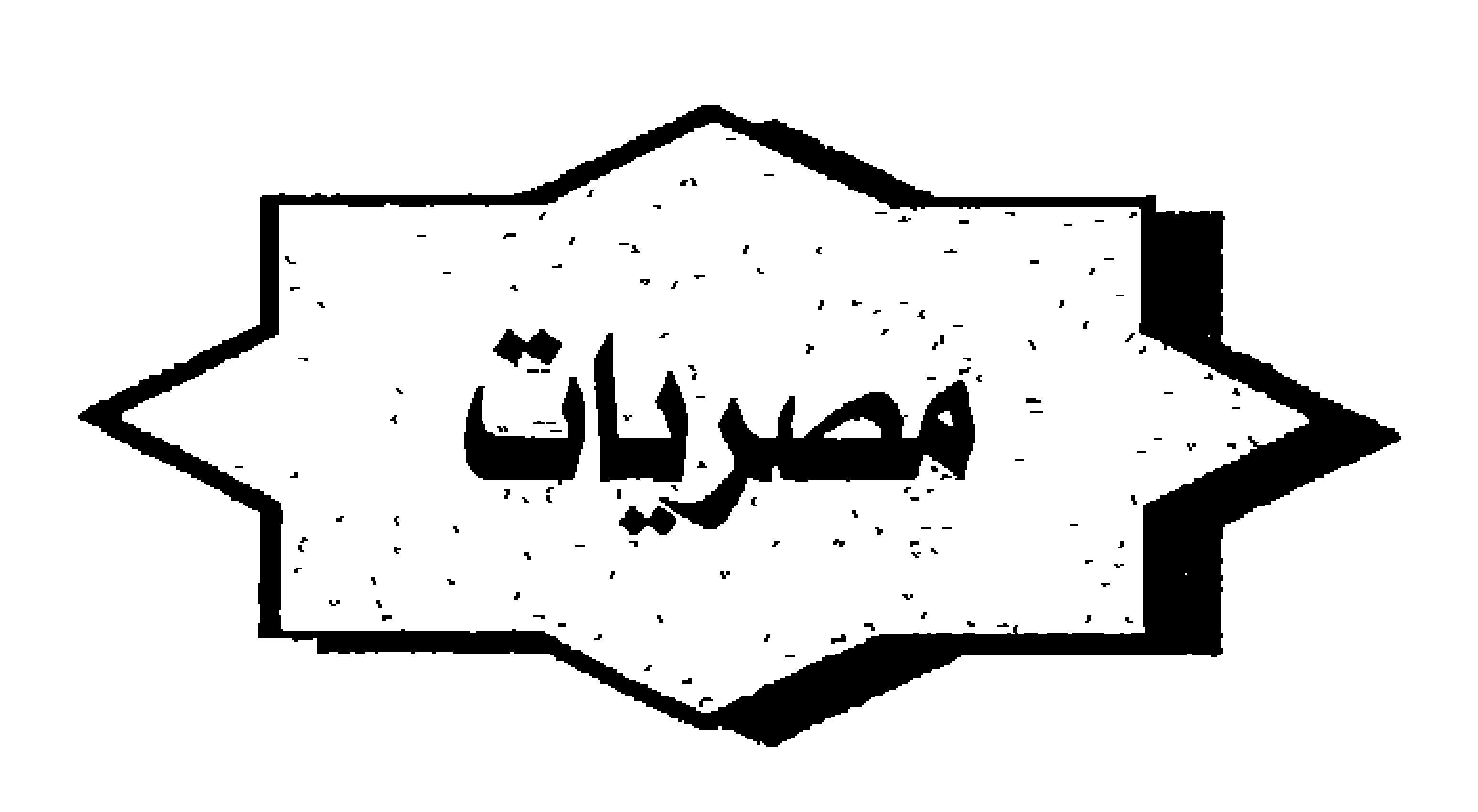
وتُشيع البسمة في الأُفْق كطلعة فجرْ

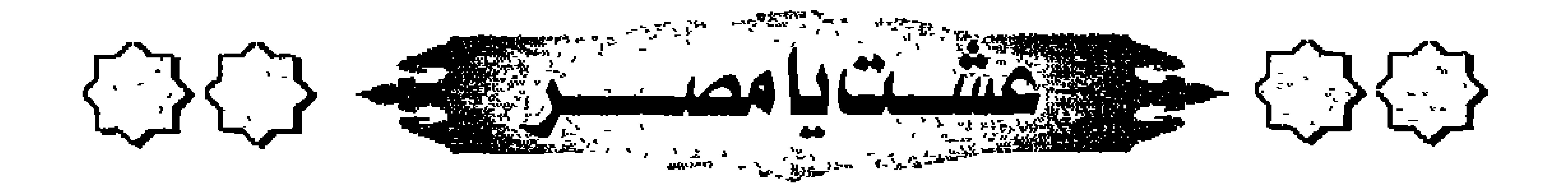
والفجرُ يَدُقُ بكفيه الأبوابْ

ويَرُشُّ نداهُ على الأعتابْ

فلتحضنِ ياقلبي أملاً قد عاد وفجراً قد آب

***


مصريات



عِـــشْتِ يا مــــصـــرُ رايـةً شَـــمّـــاءَ
ومنـارًا للـشـــرق يُهـــدي الـضـــيـــاءَ
ورعـــاكِ الإلهُ نـيــــلاً وَشَـــعْـــبـــا
وترابًـا مُــــقَـــدَّسَـــا وســـمـــاء !!
ووقـــاك الأعـــداءَ حُـــمـــرا وزُرقـــا
وكـــفـــاكِ الـضـــغـــائن الـسَّـــوداء
وحَـــمَـى قلبَكِ الـكـبـــيـــرَ مِنَ الـيـــأس
... وراضَ الْمُـــنَـــى وأَدْنَـى الـرجـــــــاء
وأراكِ الأحـــلامَ حـــقَّـــقـــهـــا الـصـــبـــر
... فـــصـــارت لِمَـــا بَذَلْتِ جـــزاء !!

(*) سنة ١٩٧٨م .

أنت ضَحَّيتِ بالدماء وما زِلتِ

... تجُودِين بالنفوس وفاء !!

عشتِ يا مصر للفداءِ وللنُّبل

... مثالاً وقُدوة ولواء !!

***

وبَنُوكِ الأَحْرَارُ عَاشُوا إباءَ

وَصَفاءً وأُلْفَةً وإِخاءَ !!

وقلوبًا تَفِيض كالنيل بالحُبِّ

... وتحيا طهارة ونقاء !!

يَزْرَعُون الحياة بالأَملِ الأَخْضَر

دَوْمًا ، ويحصدون الرخاء !!

ويصوغون بالكفاح من الشوك

... رياضًا نَدِيَّةً غَنَّاء !!

يَطحنون الصخور بالأذرع السمراء

... حتى تنساب ظلاً وماء

وعلى العلم والعقيدة والفن

يشيدون للخلود بناء

عاليًا شامخًا كما علت الأهرام

.. شُمًّا تُصافِح الجوزاء !!

عشتِ يا مصر للحضارة والتاريخ

... فجراً مشرقًا وَضَّاء

***

لن تَهُوني، ولن تَرَي بَأْسَاء

أنت أقوى عزيمة ومضاء

أنت أغنى بفضل أبنائك الغُرّ

... وأعلَى يداً وأَبْقَى ثراء

إنْ تعـــاني بعضَ الشـــدائدِ والضِّـــيقِ

... فـــهـــذا الذي سَـــخـــاؤك شـــاء

أنتِ أعطيتِ فـــوق مـــا يَهَبُ المُؤثرُ

... حـــتى لقـــد جَـــهِـــدتِ عطاء !!

وبَذَلتِ الكثـــيـــر للأهل والجـــارِ

... فِـــداء، حـــتى بَذَلتِ الدمـــاء

لِتَـــصُـــوني أرضَ العـــروبةَ مِن كل دخـــيلٍ

... وتَـــرْدَعِـــي الأعـــــــــــداء

فَـــحَـــمَـــيْتِ الترابَ والعِـــرضَ والضـــادَ

.. وصُنْتِ العـــقـــيـــدةَ الســـمـــحـــاء

فـاسْعَـدِي مـصـرُ ليس يُجْـحَـدُ مـا قَـدَّمتِ

... يومًـــا، ولن يَضـــيـــع هبـــاء !!

فـــالإلَهُ العظيم يجـــزي على الخـــيـــر،

... ويَرْعَى الأياديَ البـــيـــضـــاء !!

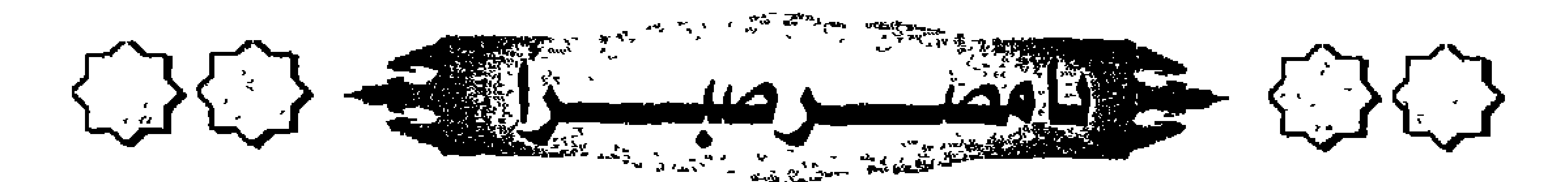
فـــــارقـــــبي فـــــجـــــرَهُ المُـطِـلَّ سَـنـاهْ

وابْسِـــــمي تَبـــــسِم الـلـيـــــالي وِضـــــاء

وارفـــعي جَـــبْـــهـــةً يُتـــوِّجُـــهـــا المجـــدُ

... وتـعـلـو حـــــتى تمـسَّ الـســـــمـــــاء

***



[إلى روح الشهيد يوسف السباعي
وإلى أرواح أبطالنا الذين
استشهدوا على أرض قبرص]

يامصرُ صبراً على البلاء

وجَمِّلِي الصبر بالعزاءِ!!

وواصِلِي السيرَ للمعالي

لتَبْلُغِي ذِروة السماء

وخَلِّفِي الرافضين عُمْيًا

لَمْ يَهدهم ساطعُ الضياء

عِداكِ بالغدر قد تَولَّوْا

وفُزتِ بالنُّبلِ والوفاء

(*) سنة ١٩٧٨م.

رَعَيْتِ حقَّ الإِخاء فيهم

فَدَنَّسُوا ساحة الإِخاء

***

مَنَحْتِهم منكِ صَفْوَ حُبٍّ

فقابلوا الحُبَّ بالعداء

بنَيْتِ حصنًا لهمْ مَنيعا

فبيَّتُوا الهدمَ للبناء ! !

بَذَلتِ حتى الدماءَ نُبلا

فما رعَوا حُرْمَةَ الدماء

بَنُوكِ كانوا لهمْ فداء ! !

فأَنكروا رَوْعَةَ الفِداء

جَزَوْهُمُ بالحياة قَتْلا

فَبِئْسَ ما كان مِنْ جزاء

***

ناشَدتِهمْ وحدةَ البقاءِ

فآثروا فُرقةَ الفناء!!

صَنَعتِ نصراً لهم عزيزا

ففضلوا نكسة اللواء

وخُضتِ أقسى الحروب حتى

لم تَبْقَ في الرُّوح مِن ذَماء

ولم يخوضوا سِوى سباقٍ

بحلْبَةِ الفِسق والبغاء!!

وإن يَصُلْ منهمُ شُجاعٌ

فبالأحاديث والهُراء!!

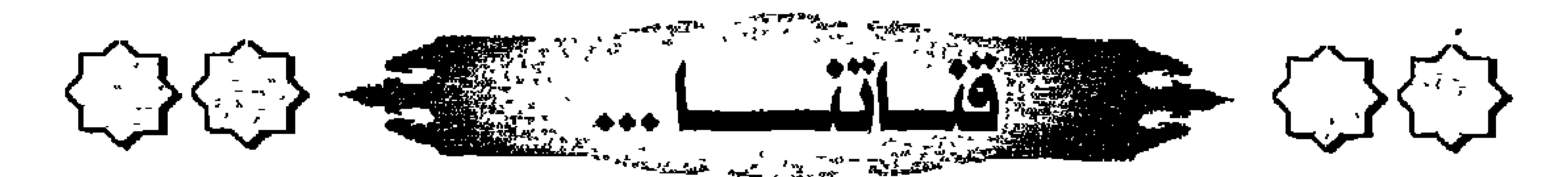
***

جَنَحْتِ للسّلم في شُموخ

كخوضك الحربَ في إباء

لِتَنزعي الحقَّ مِن أفاع
تحتاج للسِّحر والدَّهاء
وتَسْلكي أيَّما طريقٍ
يَعُود «بالقدس» و«الجلاء»
وتَرْفعي «دولةً» لأهلٍ
تَجَرَّعُوا الظُّلْمَ في العَراء
فأشعلَتْها عِداكِ نارًا،
تَفُور بالحقد والغباء !!
يا مصرُ صبراً على قضاء
يا مَنْ لَكِ الله في القضاء

***



[في تأميم القناة سنة ١٩٥٦م]

وكانت كجرحٍ بقلب الوطنْ
تُؤرِّقنا بالأَسَى والشَجَنْ
تُذَكِّرُنَا بِزَمَانٍ قبيحٍ
وشعب ذبيحٍ وعهدٍ عَفِن
تُذكِّرنا بلهيبِ السِّياط
يُمَزِّقُ من كادحينا البَدَنْ
فعادت لنا بسمةً حلوةً
يَرِفُّ عليها اعتذار الزمن
وعاد بها حَقُّنَا، إنَّنَا
دَفَعْنَا لها من دمانا الثمن !!

***

على شاطئيها أَرَقْنا الحياه
ففاضت من الدم قبل المياه
دم الطيبين الجدودِ الأُلَى
بأَعْظُمِهم كان شَقُّ القناة
وكانوا كهذا الثرى طاهرين
وكانوا كرامًا وكانوا أُباه
توسَّدَ كُلٌّ جراحاته...!!
وأَطَبَقَ فوق ثراها الشفاه
سنحمي حماها بأَرواحنا،
وندفن فيها اللصوص الطغاهْ

***

هي الحق عاد إلى أهلهِ
هي البعضُ رُدَّ إلى كُلِّه

هي الـروض قـــد عَـــرَّشـــتْـــه الضـلوع

لــنــأويَ بَـعْـــــــــــدُ إلــى ظِـلِّـه

هي الحـــقل قـــد أَنبـــتـــتْـــه الدمـــوع

لـيـــحـــيـــا بنونا علـى فـــضلـه

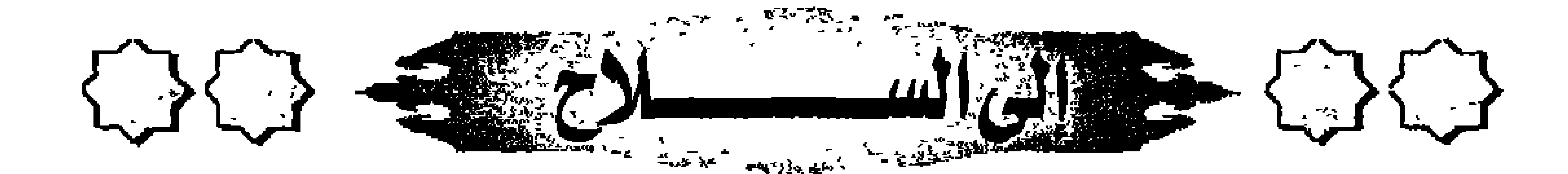
ولـيـــستْ لمن سَلَبُـــوا شـــعـــبنا

وظـــنـوه يُـغـــــــضي عـلـى ذُلِّـه

فـــــروَّعـــــــهم يَـقِـظًـا ثـائـراً

فـــصـــاروا هـبـــاء عـلـى نـعـلـه

***



[صيحة أيام العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦]

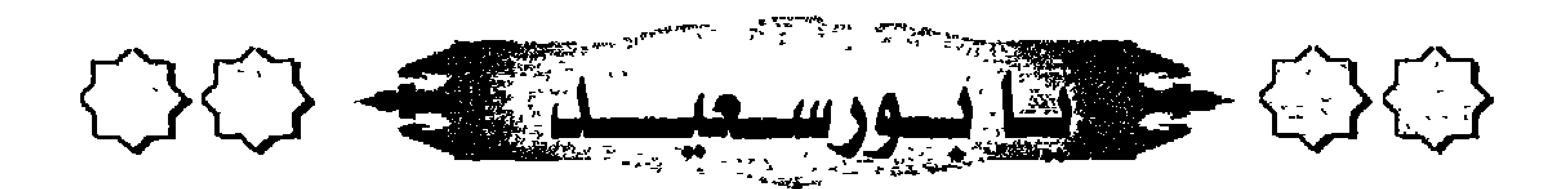
أخِي، راحَ عـــــهــــــدُ الأَسَى والنُّواحْ
أخْي، صَـــــرَخَتْ في القلوب الجــــراح
فَــــوَسِّــــدْ جـــراحَك هذا الســـلاح
وأَطْلِعْ مِنَ النَّارِ نُورَ الصـــبـــاح
وَعَـــانِقْ عليـــه رفــاقَ الكفـــاح

***

أخي، ســـوفَ أَبْقَى وتَبْـــقَى مَـــعِي
وأَيْـــدِي كــلـــيـــنا عـــلـــى المدفـــع !!
وليس سِـــوى الجَـــمْـــرِ من مَـــضْـــجَع
إلى أن يُســـاقـــوا إلى المَصْـــرَع !!
ويَطْهُـــر من رِجْـــسِـــهم مَـــرْبَعِي

أخي، إننا من مُحِبِّي السلامْ
ولكنَّنَا أُمَّةٌ لا تُضام..!!
ولا نَرْتَضِي غَيْرَ عيش الكرام
وما للعِدا بيننا من مُقام
وإلا، فَحَربٌ وموتٌ زُؤام

***



[تحية لها أيام العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦]

هَزَمْتِ الحديد وبأسَ الحديدْ

بعزمِ الأَبِيِّ وصَبْرِ الشهيد

وأَطفأتِ نارَ الغُزاةِ الطُّغاة

بفيضِ دمائك يابور سعيد

وقابلتِ أسلحة الغاشمين

بنابِ العجوزِ وظُفْرِ الوليد

وبَشَّرتِ رغمَ دُجَاكِ الرهيب

بفجرٍ وَضِيءٍ وصبح جديد

وأَكَّدَ أبناؤك الأكرمون

بطولاتِ شَعْبٍ نبيلٍ مَجِيد .

يفضِّل موتَ الأُباةِ الكرام،

على أن يعِيشَ حياة العبيد !!

***

لكِ المجدُ يابلدَ الخالدينْ

فباسمِكِ نُزهَى على العالَمِين

أَتَوْكِ وباءً يَسُوقُ الرَّدَى

ويُزْجِي الدمارَ إلى الآمنين

فكنتِ مبيداً لهذا الوباء !!

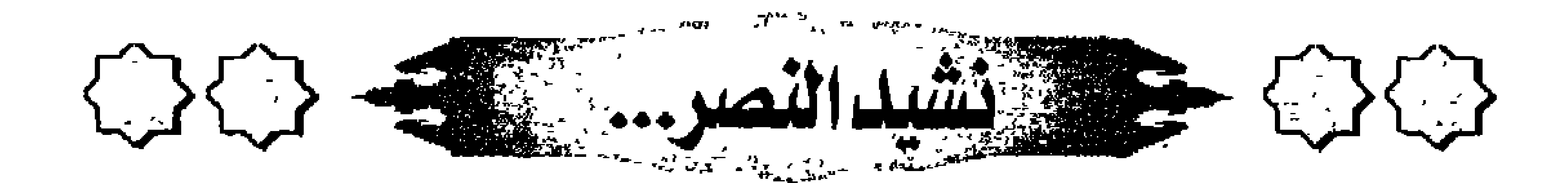
وسُمًّا لأَجْنَادِهِ الهابطين

وكنتِ جحيمَ لصوصِ الشعوب

وقَبْرَ القراصِنَةِ الخائنين

لأنتِ لمصرَ الجبينُ الكريم

تألَّقَ كالشمسِ للناظرين !!



نشيد النصر...

[في انسحاب قوات العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م]

يابلادي، قَدْ فَدَينا بالدماء
أرضَك الحُرَّةَ أرضَ الخالدينْ
قَدْ قَهَرْنَا الغاصبين الدُّخَلاءْ
وَرَفَعْنَا هَامَنَا في العَالَمين

***

فاصعَدِي يا مصرُ ما شئتِ صُعوداً
شعبُكِ الجبار قد دَكَّ السُّدودا
وأحالَ الشوكَ في الدَّرْبِ وُرودَا
وتَغَنَّى أَنَّةَ الأَمْسِ نشيدا

***

حــــينمـــــا ولَّـتْ فُلولُ الجـــبناءْ
تَخْـــفِض الهــــامَ لشــــعبٍ لا يلينْ
وَقَـــهَــرْنَا الغـــاصـــبين الدخـــلاءْ
ورَفَـــعْنَا هامنا في العـــــالَمينْ

***

يا بلادي أنتِ كـــالبــيتَ الحــرامْ
كــعبــةُ الأحــرارِ مــحــرابُ الســلام
إنَّ أَعـــــــداءَك أعـــــداءَ الأَنــام،
قــد سَــقَــيْناهم مــرارات الحِــمـام

***

يـومَ جـــاءوا بغـــرور الأقـــوياءْ
فـــرددناهم صِـــغـــارا عـــاجـــزينْ
وقـــهــرنا الغـــاصـــبين الدخـــلاءْ
ورَفـــعنا هامَنا في العـــالَمين

***

مـصـرُ، صـبحُ المجـدِ قـد لاح سناهْ
فـاسـبِـقي النور وزيدي في ضـيـاهْ
وابلُغِي من شـامخ العـزِّ ذراهْ
سـوف يرعـاكِ ويَحـمـيكِ الإلهْ

***

فـهـو للأحـرار حـصنٌ ورجـاءْ
وهوْ لا يَرْعَى العـبـيـد الخـانعينْ
يابلادي، قـد فَـديْنا بالدمـاءْ
أرضَكِ الحُـرَّةَ أرضَ الخـالدينْ

***



دموع وقسم ...

[في مأساة نكسة يونيو ١٩٦٧م]

لَيسَ مِنَّا مَنْ اسْتَكَان وذَلاَّ

ما انحنينا وإنْ بكينا كَثكْلى

قد بكينا على العدالة تُغتالُ

... ونُحنا على المبادئ قتلى

عَلِمَ اللهُ ما بخلنا بروح؛

فترابُ الأوطان أسمى وأغلى

ما وَرَدْنا الصحراءَ نُزْهَةَ صيفٍ

فلقاءُ العدا أَلَذُّ وأَحْلَى

غَيْرَ أَنَّ العِدَا تدلَّوا سِتاراً

يخْتَفِي خلفه التآمرُ نَذْلا

وعلى كَفِّه الدمارُ لشعبٍ

قام يحمي حِمًى ويَطْرح غُلاًّ

كُلُّ أيَامِه كِفَاحٌ وَصَبْرٌ،

وإِباءٌ يَنْهَاهُ أَنْ يُسْتَغَلاَّ

لم يكن ما جَرَى صِراعًا وحربًا

يتبارى فيها الفوارس بَذْلا

إنما كان غاية الغدر واللؤم

... ولسنا للغدر واللؤم أهلا

ما طُعِنَّا، وإنما طُعِن الحَقُّ

... فأَغْفَى يَضُمُّ في القلب نَصْلا

ما ضُرِبنا، وإنما ضُرِب السِّلمُ

... فصارَتْ رُباهُ قَفراً ومَحْلاَ

***

كـــــان مـــــا كـــــان، لـيس ينفـع نَـوْحٌ

وغـــدًا يُبـــصــر التـــآمـــرُ هَوْلا !!

كُلُّ مـــا ضـــاع جَـــوْلـةٌ، ولنا الـنصـــر

... فـــأهْلاً بـجـــولـةِ الثـــأْرِ أهـلا

قَـــسَـــمًـــا بالشــهـــيـــد وُسِّـــد قَـــفـــرًا

تارِكًـــا خلفـــه عـــروسًـــا وطـفـــلا

قَـــبسَـــمًـــا بالدَّم المُراق عَلَى الـبـــيـــد

... يُنَدِّي حـــصًى ويَـصْـــبُغُ رَمْـــلاَ

قَـــسَـــمًـــا بالأســـيـــر كُـــبِّلَ حُـــرًّا

بَعْـــدَ مـــا أَحْـــسَنَ القـــتـــال وأَبْـلَى

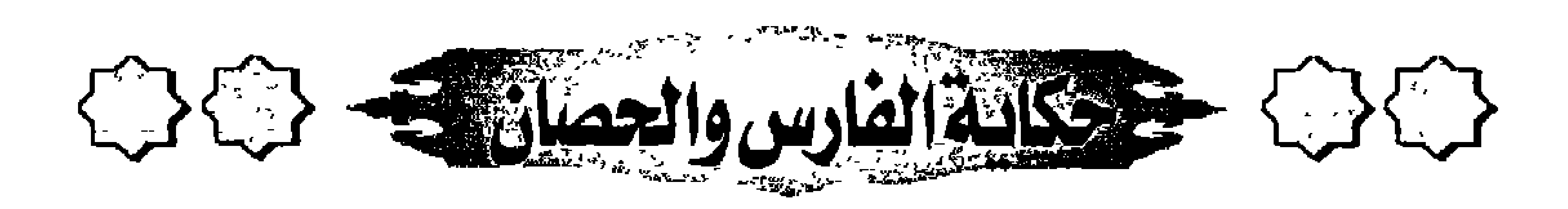
قَـــسَـــمًـــا بـالدمـــوع تَنْزِف نَزْفـــا

مِن قـلـوبٍ عـلى الأَحِـــــبَّـــةِ تَـبْلَـى

سَنُحِـــيل الأحـــزانَ صَـــبـــرا وعَـــزْمـــا

وانتـــصـــارًا، ونُتـــبـع القـــول فِـــعـــلا

سنزيل العدوان عن كل شبر
ونُعيدُ البناءَ أقوى وأعْلَى
سَنُحِلُّ العِدا قُبُوراً، وإلاَّ
فظلامُ القُبُور بالعُرب أَوْلَى!!
سنعيد الحياةَ فوق ثَرَانَا،
جَنَّةً للسلام تبسط ظِلاَّ!!
وحقولاً تَمُوجُ بالأَمَل الأَخْضَرِ
... تُجنَى وفْراً وتُقْسَمُ عَدْلا
وأُلوفًا مِنَ المصانع تَمْضِي
في سِبَاقِ الرخاء تَهْدِرُ عَجْلى
وجِبَاهًا شَمَّاءَ، لا تَنْحَنِي الدَّهْرَ
... لغير الإله عَزَّ وجَلاَّ
قد دعوناه أَنْ يَقُودَ خُطَانَا،
وَهْوَ عن قاصديه لن يتخلَّى!!



حكاية الفارس والحصان

حكايتي عجيبةٌ تُحَيِّر البشرْ

حزينةٌ تُفَجِّرُ الدموعَ مِن محاجر الحجرْ .

حكايتي غريبة ومذهلهْ

تكاد أن تكون من مَلاحِمِ القَدَرْ

ورغم ذاك قد تُثير الابتسامْ

وَتَجْلِبُ الْمَلامْ

ويُضحك الخَلِيَّ وقعُها كَمَهْزَلَهْ

حكايتي لأجل ذاك مَقْصَلَهْ

***

(*) سنة ١٩٦٧م .

كفارس نشأتُ فوقَ قِمَّةَ الشرف

وعِشْتُ بالإِباءِ أرفعُ الجبينَ للسماءْ

وأَحْفظ الأَمَان للعرين بالفداء

وللتراب قلبُه مقابرُ السَّلفْ

وظَهرُه ملاعبُ الخلف

وكان لي من الجِياد مُنجَرِدْ

عَرَفْتُه قَيْد الوحوشِ مُسرعا

وهَيْكَلاً مُروِّعًا وفارعا

وكنتُ قد تَخِذْتُه كصاحبي الأمينْ

أحببتُه كاثِر البناتِ والبنين

وقلتُ هذا عُدَّتي يومَ الخطرْ

ففوق ظهرِه سأَهزِم الخطرْ

سأصرعُ العِدا بفضله وأَنْتَصِرْ

لذاكَ كَمْ دَلَّلْتُهُ

كم جُعْتُ حَتَّى يَشْبَعَا

كم هَدْهَدْتُهُ

أطلَقْتُهُ في مهجتي كي يَرْتَعا

رَضِيتُ منه الكبرياء والجموحْ

والرَّكل والشدوخَ والجروح

وقلتُ: هذا عُدَّتِي يوم الخطرْ

ففوق ظهره سأَهزم الخطرْ

سأَصرعُ العِدَا بفضله وأنتصر

***

حتى رأيتُ زاحفين لاغتصاب قريتي

ولاعتصار كَرْمَتي

فَثُرتُ للإباءِ والشَّرفْ

وللحريم والعرينِ والحِمَى

وللتراب قلبهُ مقابرُ السلفْ

وظهره ملاعب الخلف

وقُمْتُ للحسام أنْتَضِي وأَمْتَشِقْ

وللحصان للرياح أَسْتَبِقْ

وكالرياح طِرت نحو حَوْمَةِ الوغَى

وصِرتُ مِن عِداي قَيْدَ عَدْوَتَيْن

وكان حَسْبِي أَنْ يُضِيف عَدْوَتَيْنِ

لأجعلَ الحُسَامَ يَحْصِدُ العِدَا

لكي أَشُقَّ في قلوبهم له الطريقْ

وأحميَ العرينَ والحريمَ والحِمَى

لكنَّنِي وجدتُهُ...

ياهَوْلَ ما وجدتُه !!

وجدتُه من الورَقْ !!

تَصَوَّرُوا حصانِيَ الحبيبَ كان مِن ورق ! !

قد طار كالرياح نحو حَوْمَة الوغَى

لكنَّهُ قُبيل حَومَةِ الوغَى

تمزَّقا . . تشقَّقا . . إحترقا ! !

فلم يكن إلا حصانا مِن ورق ! !

***

وكبَّنِي على الجبين في الثَّرَى

أَبْكِي جوادِيَ الَّذِي تَبَخَّرا

أَنْعِي حُسَامِيَ الَّذِي تَكَسَّرا

أُخْفِي جَبِينيَ الذي تَعَفَّرا

بين العِدا يروِّعون قريتي

ويحرقون كرمتي

ويلمسون بالنعال جبتهي ! !

وَدِدْتُ من أَسَايَ أَنْ أَمُوتْ

فقد غَدَوْت مضحكا «كَدُونْ كيشوتْ»

ومحزنًا «كدُونْ كيشوت»

وكَيْفَ من مقام، «دُونْ كيشوت»؟!

قد كان يمتطي حصَانَه الهزيلْ

لكنه حصانْ

أما حصانيَ الورقْ

فكيف خِلْتُهُ حصانْ؟!

هل من خيالي صُغْتُه؟

أَمْ كان قبلُ مِنْ مُطهَّمِ الجياد؟

وأَنَّنِي مَسَخْتُه؟

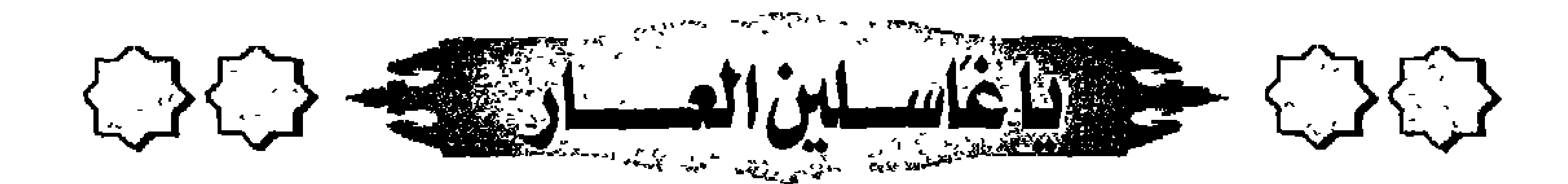
مِن يَوم أن ذَلَّلْتُه؟

ومنذ أَنْ هَدْهَدْتُه؟

مَنْ يا تُرى الجاني وَمَنْ مِنَّا الضَحِيَّهْ؟

مَنْ يَاتُرى الرامي ومَنْ مِنَّا الرَّمِيَّهْ؟
مهما يكن، فأَنَا مُضاعُ
وقريتي تحتلُّهَا جحافلُ العِدا
وكَرْمَتِي تجتثُّهَا مَعَاوِلُ الطغاه
وجبهتي تَمَسُّهَا النِّعَالُ بالهوانْ
«وفي سَمْعِي هُتَافَاتٌ تُراعُ»
«أضاعُونِي وأَيّ فتًى أَضاعُوا» !!

***



ياغاسلين العار(*)

[إلى جنودنا البواسل على جبهة القتال]

ياrابضين على خطوط النارِ أقوى مِنْ لظاها
ياناسجين الفجر خيطًا بعد خيطٍ مِنْ سَنَاها
ياصانعين الصُّبْحَ للأَرض التي اسْتَشْرَى دُجاها
ياغاسلين العار بالدمِ نازفًا يَرْوِي ثَرَاهَا
يارافعين جِبَاهنا شَمَّاءَ قَدْ مَسَّت سَمَاها

***

ياحاضنين إلى الضلوعِ بنادقًا نَسِيت كَرَاها
ياساهرين مع المدافع يَسْمُرُونَ على صداها
وفِراشُهم شوكُ الفلاةِ وما تَنَاثَر مِنْ حصاها

(*) سنة ١٩٧٠م .

وشَــرابُـهم عَــرَقٌ يُنَدِّي في تَـحَــدُّرِه الـشِّــفــاهـا
يا ظامــئين لملحــمـــاتِ الثــأر تَرْويـهـم دِمــاهـا

***

أنتم جـيـوشُ اللهِ يَهْـدِي خَطْوُه مَـسْـرَى خُطاها
فـامْـضُـوا بِرُوح الله مَنْصـورين واجـتـاحـوا عِـداها
اليـوم أنتم في الخطوط الحُـمْـرِ كي تَحْمُـوا حِـمَـاها
وغــداً هنا بين الروابـي الخُـضْـرِ كي تَجْنوا جَنَـاها
هذي بُنود الـنصــر لاحت خــافـقــاتٍ في عُــلاها
والـغــارُ أيْنَـعَ كي يُـكَلِّلَ مِنْ كــتــائبنا الجِــبــاها

***



أغنية النصر

[في نشوة انتصار أكتوبر المجيد سنة ١٩٧٣]

شعبُنَا الحر الذي كان طعينا

طاوِيَ الصدرِ على الجرح سنينا

عاد عملاقًا شامخًا

عاليَ الراياتِ لا يحني الجبينا

جيشُه الباسلُ داوَى جُرحهُ

وشَفَى الصدر بقهر المعتدينا

حينما أطْلَقَ فرسانَ الحِمَى

يكتبون المجدَ في صفحة سينا

حينما قيل: اعبروا فاندفعوا

يصنعون الفجر والنصر المبينا

وصـــحـــا العُـــرْبُ على هَبَّـــتِـــهم ،
يَشْــــهَـــدون الحلمَ قـــد صـــار يقـــينا
ويُغَنُّون نشـــيـــدًا هـادرًا ،
بـعـــد أن كـــادوا يذوبـون أنـيـنـا

***

يا أخي الزاحِفَ بالأرض الحـبيـبـهْ
مُـرْجِـعًـا للأُمِّ سـيـنـاء السليـبـهْ
دافنًا صِـهْـيُـونَ في ســاحــاتهـا
بعـد أن أَطفـأتَ بالنار لهـيـبـهْ
قــد مــحـوتَ العــار عن أعــراضنا
بـاذلاً رُوحَك للمــجــد ضــريبـه
إنْ أخـــذتَ الثـــأرَ مِـنْ واتِـرِنـا
وأذَقْتَ البَـغْيَ أهوالاً رهيـبـه

مـــا عَــجَــيبٌ أخـــذُ ثأرٍ مُـــوجعٍ،

إنما الـنوم عن الـثــأر عـــجــيـــبـــه

ســـاعـــةُ الـتـــحـــرير دَقَّت فـــإذا

كلُّ فـــردٍ صـــار في الجـــيش كـــتـــيـبـــهْ

إنَّـهُ الــبـــــعـثُ يُـدَوِّي صـــــوتُـه

وبـنـود الـنصـــرِ تـعلونا مَـــهِـــيـــبـــهْ

***

يـا بُـنـاةَ الـنـصـــرِ صُـنَّاعَ الـســـــلامِ

يـا حُـــمـــاةَ الحـقِّ مِـنْ بَـغْـيِ اللئـــام

أغْـــصُنُ الزيـتـــونِ داســـوها فـــمـــا

لِطغـــاةٍ عَـــربَدُوا غَـــيْـــرُ الحُـــســـام

مِنْ سَنَا نيـــرانكم قـــد أشـــرقَتْ

عِـــزَّةُ الـعُـــرْبِ الميـــامين الـكـرام

هذه النيران فجرٌ صادقٌ
بُدِّدَتْ منه خفافيشُ الظلام
قد رفعتُم للسُّها هاماتِنا
بعد أن كادت تُسَوَّى بالرَّغَام
الملايينُ التي تُزهَى بكم
شاقَها تقبيلُكم شوقَ الهُيام
ضَفَّرَتْ مِنْ حُبِّها إكليلَكُم،
وحَبَتْكُمْ قلبَها أسمى وسام

***



يا أخي الإِنســـانَ مـــازلتُ على الأرض أخـــاكـــا

أنـتَ إنْ تَقْــرُبْ هُنـا مِنّي، وإِن تَبْـــعُـد هُناكـــا

فـــأنا في البُـــعـدِ مـــثل القُــرْبِ أَرنـو فـأراكـــا!!

إِنـني أرنـو إلى نـفـــــسي إذا رُمْتُ لِقـــاكـــا!!

في إِهابي أنتَ إنّي لستُ فـي الحق ســـواكـــا

أنـا نَبْتٌ قـــد نَمَـــانِي مَنْ مِنَ الطين نماكـــا

فكيـــاني مِنْ تـرابٍ هو مِنْ نـوع ثـراكـــا...!!

إِنْ نـكن لونين، لسنـا حـــيـــوانا ومـــلاكـــا

وانظُر المرآةَ تُبْـــصِـــرْني جَلِيًّـــا في سَنَاكَـــا

«يا أخي الإِنســـانَ مـــازلتُ على الأرض أخـــاكـــا»

(*) سنة ١٩٥٩م.

يا أخي أدعــــوكَ من قلبي إلى دِين الســـــلامْ

نَعْــبُــدُ الحُبَّ ونحــيــا في صــفـــاء ووئام

ودمـــانا يا أخي في شِــرعـــة الحُبّ حــرام

إنَّ في الأرض مِن الخــيـــراتِ أضــعــاف الأنام

فلمـــاذا تَغْــصِبُ اللُّقــمـــةَ بالموت الزؤام

وعلى شِــبــرٍ مِنَ الغــبــراء يُردينا الخِــصــام

ونَسُــوقُ الأهلَ للحــرب ومَسْــعُــورِ الضِّـرام

يا أخي دَعْنَا نَعِش حــتى يوافــينا الحِــمـــام

ثم نمضي في هدوء مــثلمـــا يغــفـــو النيـــام

«يا أخي أدعــــوكَ من قلبي إلى دين الســـــلام»

***

يا أخي من أجْلِ أطْفَـــالٍ صِـــغَـــارٍ أبــرياءْ

وشــيــوخ في شــتــاء العــمــر شِيبٍ ضــعــفــاءْ

وشــــبــــاب كـــالربيع النَّضْـــر فَـــتَّـــانِ الرُّواء

وَعَـــذَارى في نـقـــاء الزَّهْرِ كـــالحـــورِ وِضـــاء

وحــــيـــاةٍ قـــد بناها الكادحـــون الشـــرفـــاء

ورَوَاها العـــقلُ فَـــيَّـــاضًـــا كنهـــرٍ من ضـــيـــاء

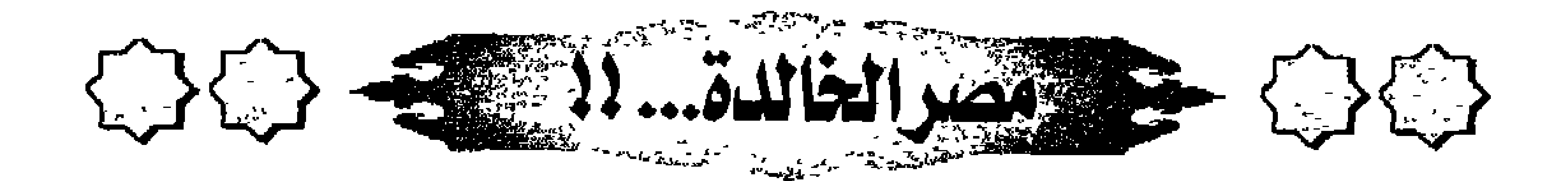
وجَـــلاها الفنُّ عُـــرسًـــا مِن جـــمـــالٍ وبهـــاء

إنـهــــــا لـلـخُـلْـدِ والـسِّـلْـم ولَـيْــــسـت لـلـفـنـاء

حَـــيِّـــهـــا بالزَّهْر والعطر ولا تُجـــرِ الدمـــاء

«يا أخي مِنْ أجل أطفـــالٍ صـــغـــارٍ أبرياء»

***



سَمَاؤكِ إشراقٌ وسِحْرٌ وهالاتُ
تَرِفُّ بها مِنْ نُورِ رَبِّي شُعاعاتُ
صَفَتْ مثلما تَصْفُو سريرةُ ناسكٍ
عَلَى قَلْبِه تَغْفُو وتَصْحُو الطهاراتُ
وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّتْ أحاسيسُ شاعرٍ
وَشَفَّت كما شَفَّت مِنَ الذِّكْرِ آياتُ
فلو أنَّ حِسًّا للسَّمَاوات لاكتوتْ
بِحُبِّ سماءِ ظَلَّلَتْكِ السَّماواتُ

***

وأَرضكِ جَنَّاتٌ تَرَاقَصُ أَنْهُرٌ
خلالَ مَغانيها وتَشْدُو خميلاتُ

(*) سنة ١٩٥٠م .

لهـــا مِن طَرُوب الطيـــر أمـــهـــرُ جَـــوْقـــةٍ
وَمِنْ مَـــائس الأغْـــصَـــانِ في الدَّوح نايات
وتَعْـــتَنِقُ الأشـــجـــارُ فـــوق مَـــخَـــادع
مِـن العُـــشْب وشَّـــتْـــهُ ورودٌ نَدِيَّاتُ
وتَسْـــتَـــبق الأَنْسَـــامُ، تفـــرس دربَهـــا
أزاهـيــــرُ كـــالمسكِ الزّكِيِّ شـــذيَّاتُ
وتُصـــغِي من النَّخلِ الرشـــيقِ مَـــسَـــامِعٌ
شـــجـــاها أنينٌ للســـواقي وآهاتُ
وتَبـــدو عناقـــيـــدُ الكروم كـــأنهـــا،
ثريّاتُ بِلَّوْرٍ رِقَـــاقٌ مُـــضـــيـــئـــاتُ
يَخِفُّ إليـــهـــا النَّحْلُ يَحْـــسُـــو رحـــيـــقَـــهـــا
ومِن نُورها الهـــادي تَعُبُّ الفـــراشـــات

***

ونيلُكِ ذَوْبٌ مِن لُجَيْنٍ تَضُمُّهُ
مِن التِّبْرِ شُطآنٌ حِسانٌ ظليلاتُ
تَرَقْرقَ من خيرِ البحيرات مثلما
تَرَقْرَقُ من خيرِ الدنان سُلافاتُ
وفاضَ من السودان رمزاً لوحدةٍ
لها من دِمانا في العروق هُتافاتُ
ففاضَتْ له أرضُ الشَّمالِ بشاشةً
وزانتْ له خُضْرَ المَزارع راياتُ
وراحتْ تُحَيِّيهِ الشواديف فانحنتْ
لَمقْدَمِهِ منها رِقابٌ وهاماتُ
سماؤكِ إشراقٌ وسِحْرٌ وهالاتُ
وأرضكِ يا مصرُ الحبيبةُ جَنَّاتُ

وِنيلكِ شهدٌ قد ترقرقَ صافيا

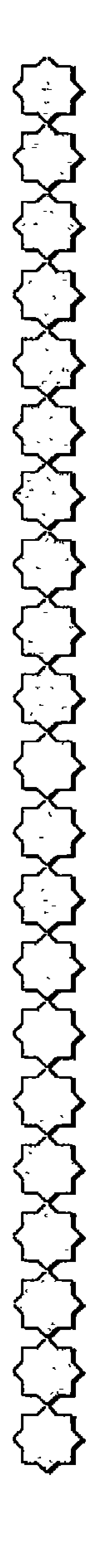
وخمرٌ وندمانٌ ودَنٌّ وكاسات

فلو كان لي حَقٌّ اختيارٍ لجَنَّتِي

فَفِي مصرَ يا ربِّي جناني الحبيبات

***


قوميـــات





صوت من الشمال

[تحية لقاء مأمول مع الشعب السوداني الشقيق سنة ١٩٤٧]

أشِـقَّـاءَنا ، هَذِي لحونٌ مِنَ الخُلْدِ
وشِـعْـرٌ كـأنْفـاس الأَزَاهِيـر والورد

ولـيـسـتْ لحـونِي رَجْعَ نايٍ وإنَّـمـا
صَـدَى نبضِ مـصـرِ بالمحـبـةِ والود

ومـا هو شِـعْـرٌ، بل قلوبٌ تَجَـمَّـعتْ
أكـاليـلَ مِنْ آل الشـمـالِ لكُم عندي

تَحَـايا أشِـقَّـاءِ تَنَاهَى حَنينُهُمْ
فـأضْحَـوْا على شوقٍ وباتوا على سُـهْـد

تحـايا ظِمَـاءِ ، ريُّهُمْ أَنْ يُقَـبِّلُوا
أشـقـاءَهم أَلْفًـا على الثغـر والخـد

تحــــــايا الملايين الـذين قـلـوبُـهـمْ
تُكِنُّ لكم حُـــبًّـــا هو النار في الزَّنْد
تحــــايا الوَفـــيِّين الذين رَجــــاؤُهم
تَفَـــيُّـــؤُكم ظِلَّ الرَّفــاهَةِ والســعــد
وآمـــالهم أن تَبْـــقَـــوا الدهرَ إِخـــوةً
وغـــاياتُـهم أن تَبْلُغُـــوا ذروةَ المجـــد

***

أشـــــقــــاءنا يا مَنْ بلادي بلادكُمْ
وخـــالُكُم خَـــالِي، وجَـــدُّكُمُ جَـــدِّي
ويامن رآنا الدهرُ شــعــبًــا مــوحَّــداً
على حين كـــان الدهرُ يَلْعَبُ في المهـــد
ويــا مَنْ تَوَحَّـــدْنا دمــــاء وأَلسُنًا
وَدِينًا نُهـــينا فـــيـــه عن فُـــرقـــةٍ تُردى
ويَا مَنْ ســقــانا النيلُ مــاءً ووحـــدةً

سَتَبْقَى على رغم الدسائسِ والكيد
فهيهات أن يقْوَوْا على فَصْم عُروَةٍ
تناهتْ بها عَقْداً يدُ الأَحدِ الفرد

***

أشقاءَنا، إنَّا على العهد لم نَزَل
وإيمانُنا أنَّ الجَنُوبَ على العهدِ
فنحن وأنتمْ مِثْلُ جسمٍ ورُوحِهِ
يُواريهما التفريقُ في ظُلْمةِ اللحد
ونحن وأنتُمْ كالعيون، بَيَاضُها
بغيرِ سَوادٍ ليس يُبْصِر أو يَهْدي

***

أشقاءنا، إنَّ الأفاعي توافدتْ
علينا مِنْ التاميز، ماكرةَ القصد
خذوا حِذْرَكمْ فاللدغُ منها سَجِيَّةٌ

وإن خــــــادعتْ باللينِ في ملمس الجلد

خــذوا حــذركمْ لا تتــركــوها ســلاســلاً

مُــسَــمَّــمــةً حــولَ الرِّقــاب وفي الأيدي

خــذوا حــذركم لا تتــركــوها مَــعَــاوِلاً

فَــتَــشْطُرنا شطرين، كــالقــوم في الهند

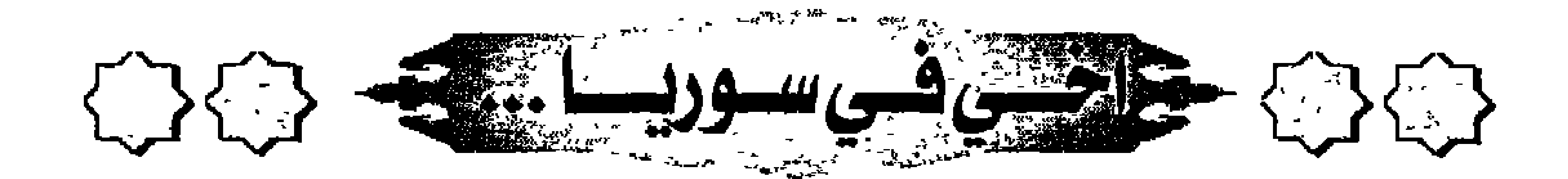
خــذوا حــذركم لا يَقْــرَبِ النيلَ سُــمُّــهــا

لِيَــبْــقَى على الأحــقــاب أحلى مِنَ الشــهــد

فَنَرْشَفَ منه السلسلَ العــذبَ إخــوةً

ونحــيــا على شَطَّيْــهِ في قِــمَّــةِ المجــد

***



أخي في سوريا ...

[في الفرحة بإعلان الوحدة سنة ١٩٥٨م]

أخي في سُورِيَا الفيحاءِ، هَذَا نَجْمُنا صَعَدَا
وهذا فَجْرُ نهضتِنا... طريقُ المجدِ فيه بَدَا
فقد عُدْنَا أشقاءً... وعادت أرضُنا بلدا
يُعَانِقُ في ثَرَاهَا النيلُ حُبًّا صِنْوَهُ بَرَدَى
فَهَيَّا نزرعِ الوطنَ الموحَّد يا أخي رَغَدا

***

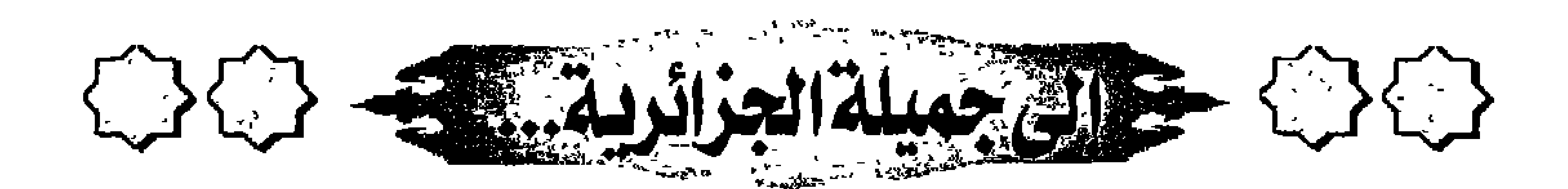
أخي واللهِ روحانا برغم البُعدِ ما ابتعدا
ولكنَّ الطغاة بَنَوْا حواجزَ كي نُرى بَدَدَا
وقد دُكَّت حواجزهم... بعزم لا يَهَابُ رَدَى
وأصبح كلُّ ما حالوا به دُونَ اللقاء سُدَى

وهَبَّت مصرُ في عزم... وقد مَدَّتْ إليك يدا
لِنَبْنيَ دولةً كُبْرَى... ونعليها منارَ هُدى

***

أخي هَذِي يدي، واللهُ للقلبين قد عقدا
وَعَهْدُ اللهِ أن نَبْقَى أشقاءً كذا أَبَدَا
وَنَجْعَلَ دونها الأرواحَ والأموالَ والوَلَدا
ليرضَى اللهُ والأمجادُ والشُّهَدا
أخي، وَعْدٌ عَقَدْنَاهُ.. ودِينُ الحُرِّ ما وَعَدا

***



إلى جميلة الجزائرية...

[من صيحات الاحتجاج على سلطات الاحتلال الفرنسي الذي كان قد حكم بإعدام الفدائية العظيمة سنة ١٩٥٨]

سوف تَبْقِينَ قمة للبطولهْ

وسَيَبْقَوْنَ بُؤرة للرذيلهْ

لَقِّنِيهم - مُخنَّثِي السِّين- درسًا

في التسامي وفي معاني الرجوله

وازحَمِي الشمسَ في السماء ضياءً

وانظري نجمهم يُلاقي أُفوله

لن تموتي، لكن سَتَقْضِي فرنسا

وَسَيَشْفِي الأَبِيُّ منها غليله!!

قد كساها صغارُها كَفنَ العار

... وألقاها للجحيم ذليله!!

أنتِ يا أختُ شعلة قد أضاءتْ
ليَرَى شَعبُك النبيلُ سبيله
مِنْ ظلام الجدران أطلعتِ فجراً
لانتصار الأحرار دَقَّ طُبوله
مِن جَديب الأسَى زَفَفْتِ ربيعاً
فيه للعُرب أَلْفُ ألفِ خميلهْ
مِن وراء القضبان أرسلتِ إعصاراً
... وأنتِ الأَنسام تَسْري عليله
فَهَوَتْ رايةُ الطغاةِ برجسٍ
وسَمَتْ رايةُ الأُباةِ جليله...!!

***

آهِ يا أُخْتُ لستُ أكتمُ وجدي
ودموعي وثورتي المغلوله !!

وحديثاً كالجمر فوق شِفاهي

ليس ضعفاً صديقتي أَنْ أَقُوله

أتموتين والبغايا بباريس

... يُمتَّعْنَ بالحياةِ الطويلهْ؟!

أيُطيح الجلَّادُ رأْسَ ملاكٍ

كي تعيش الجماجمُ المخبولة؟!

أَيُدَوِّي الرصاصُ في صدرك الحُرِّ

... وتَدْمَى فيه المعاني النبيلهْ؟!

الجبين المهيبُ يَسْطَعُ بالطُّهْرِ،

... وعَيْنٌ بالكبرياء كحيلهْ!!

والجمال القدسيُّ يُشرق كالفجر

... ووجهٌ كالوردةِ المطلوله!!

والفؤاد الكبير يَزْخَرُ بالنُّبْل

... ورُوحٌ تأبَى الحياة ذَليله!!

كل هذا يا أخْتُ أُبدع للقتلِ؟

... أراها نهاية مستحيله!!

***

آهِ يا أُختُ والفؤاد أنينٌ

تحت وطءِ الهمومِ وهْيَ ثقيله

أنا لم أَعرف الترمُّلَ واليُتْمَ،

... وفقدَ الصغارِ زَهْرِ الطفوله

غير أني أحسستُ هذا جميعا

منذ نالوكِ بالأذى يا جميله!!

لا تراعِي؛ فالليلُ يَعْقُبُه الفجرُ

... وبَعْدَ الهجير تحلو الخميله

انظري، فالصباحُ يُشرق في الأُفق

... وجيشُ الظلام يُخفي فلوله

هكذا تَسْعَدُ الجزائر بالنصر،

... وكُلِّ الرغائب المأموله

ونُغنِّيك أُغنياتٍ جميلهْ

فَسَتَبْقَيْنَ قصة للبطوله!!

***



[مؤازرة لثورته الوطنية سنة ١٩٥٨م]

أَخي يامُحطِّم قيدَ العراقْ
لِيَصْعَدَ كالنِّسْرِ فوق القممْ
أُحَيِّيك يا ماردًا قد أَفَاقْ
فداسَ الطُّغاةَ بأَعْتَى قَدَمْ

***

أُحيِّيكَ في الثورة الماجدهْ
أُحييك في الوثبة الصاعدهْ
أُحييك في الوقفة الصامدهْ
أُحييك والأُمَّةَ الخَالدهْ

***

فَقد أطلعتْ فجرَها في ائتلاقْ

وَأَجْلَتْ عن الأفق جيشَ الظُّلَمْ

وداستْ رُؤوسَ أفاعي الشقاقْ

وألقتْ عِداها بقبر العدمْ

***

أخي، قَدْ عَرَفْتَ طريقَ الخلودْ

وَأَسْعَدتَ فِي الخُلْدِ رُوحَ الشهيد

وطَهَّرتَ بالدم أرضَ الجدود

ودَكَّتْ يمينك كلَّ السدود

***

فعاد التداني وعاد الوفاقْ

لأرض الفرات وأرضِ الهرمْ

وعاد اللقاءُ وعاد العناقْ

إلى عَرَبٍ، هم أخٌ وابن عم

أخي قَسَماً بتراب الوطنْ

لَننتصرَنَّ برغم المِحَنْ!!

فكفٍّي بكفِّك طُولَ الزمنْ

وعندي لنصركَ أغْلَى ثمن

***

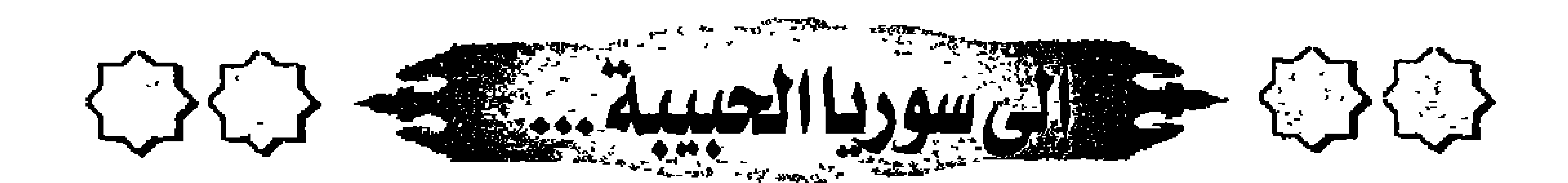
ولو أَنَّهُ مِنْ دِمَائِي تُراقْ

لنبقَى أَعِزَّاءَ بين الأُمَمْ

وللعُرب قومية في انبثاقْ

فيا غَرْبُ أَفْسِح لسيلِ العَرِمْ

***



إلى سوريا الحبيبة...

[تحية اللقاء الأول بها، في مؤتمر الأدباء العرب سنة ١٩٦٠]

تحـــيـــةَ مُــشــتـــاقٍ وقُــبلة ظمـــآنِ

أيا أرض أحـــبـــابـي، ويـا وطنـي الثـــانِي

وسَـــجـــدةَ صــــوفيٍّ على ذلـك الثـــرى

فـــقـــد ضَمَّ أجـــدادي وأنبتَ إخـــوانـي

سَـــقَـــتْنِي مـــيـــاهُ النيل أكـــرمَ خـــمـــرةٍ

ولكنَّنـي صـــاد إلى خَـــمْـــر غَـــسَّـــانِ

إلـى بَـرَدَى الحُـلْـوِ الـذي مِن مـــيـــاهِـهِ

ومِن نـيلنـا تَـجْـــرِي الدمـــاءُ بشـــريانـي

إلى رافِـــدِ الفـــردوس ذي التـــربـة التـي

تشـــارِك طَمْيَ النيـل تكوين جـــثـمـــانـي

إلى مَوْرِدِ الخُلْدِ الذي من نَسِيمِه
ومن نَسَمَاتِ النيل روحي وريحاني

***

شَقَقْت عبابَ الجوِّ والقلبُ سابقٌ
مُجَنَّحَةً كالبرقِ أو خطفةِ الجان ! !
وغادرتُ خلاَّنًا وأَهْلاً وصاحبا
لأَلقَى هنا أهلي وصحبي وخلاني
وودَّعت بعضي في الجنوب بأَدْمُعٍ
لأَسْعَدَ إِذْ أَلْقَى بكم بعضيَ الثَّانِي
وأُقْسِمُ ما هذِي تهاويل شاعرٍ
ولكنها روحي وقلبي ووجداني
أُترجمُ في صدقٍ مشاعر إِخوةٍ
بمصرَ نشاوَى مِن هواكم كندمان

وأُهدِي إِليكم باقةً مِن قلوبهم
تَرِفُّ بأَشْواقٍ وتَنْدَى بتحنان
وتَعْبَقُ بالحُبِّ الذي شاد وحدةً
لها في ضمير الشعب تقديس إيمان

***

فوحدتُنا رُوحٌ مِن الله قد سَرَى
ليوقظ عملاقًا كثائر بركان !!
يُحَطِّمُ أغلالاً، ويمحو حواجزاً
ويذرو عَلَى إِعصارِه سُودَ جدران
ويُطْلقَ شعبًا عَذَّبُوه مصفَّداً
ولَمْ يَكُ بالعادِي، ولم يك بالجاني
ولكنه قد عاش للنور والهُدَى

وصُنْع نُبوّاتٍ وتطوير إنسان
فَظَنُّوه حُملانًا ضِعافًا تَفَرَّقَتْ
وسامُوه كالذؤبان ألوانَ عدوان
فهَبّ يُريهم في تَجَمُّع شَمْلِهِ
تجمُّعَ قَطْرٍ يستحيل لطوفان !!
وهَبَّ يُريهم أنه عاش سيدا
يموت ولا يَرْضَى مَذَلَّة عُبدان
وهَبَّ يُريهم أنَّ في أرض يَعْرُبٍ
جَهَنَّمَ جَبَّارٍ وجَنَّةَ رِضْوان
جهنم خَصْمِي كيفما كانَ لونُه
فإن الذئاب البيض والحمرَ سِيان
وجنَّةَ أهلي أين حَلَّتْ رِحالُهم
فكُلٌّ أخِي، قاصِي المنازل كالداني
يُوحِّدُنَا أصلٌ وأرضٌ وفكرةٌ

وأحـــــداثُ تـاريـخ ومـنـطـقُ قــــرآن
ومـــاضٍ مليءٌ بالجــراحِ وحـــاضـرٌ
يُبَــدِّل أفــراحًــا كِــبــارًا بأشْــجَـانِ
ومـســتـقــبل لاحت طلائعُ فَــجْــرِهِ
عـلى أُفقٍ يَسْـــبي النَّـواظِرَ فَــتَّــان
وَعَـمَّــا قليلٍ يُسْـفِـرُ الصُّبْحُ مُـشْـرِقًـا
يُضـيءُ لبـــغـــدادَ الطـريق وعَــمَّـــانِ
ويَجْـتَـمِعُ الأحــرارُ صَــفًّــا مُـوَحَّـداً
يَقــوم بوجــهِ البــغـيِ شـامخَ بُنيــان
ويـحــيــا جــمــيعُ العُــرْب فـي ظل رايةٍ
مـــوحّـــدَةٍ تُـزهَـى بـعـــزٍّ وسـلـطـان
يَفِيءُ إليــهــا كلُّ مــجــدٍ وتلتــقي
على خـفـقــهـا أحــلام قــيس وقــحطان

***

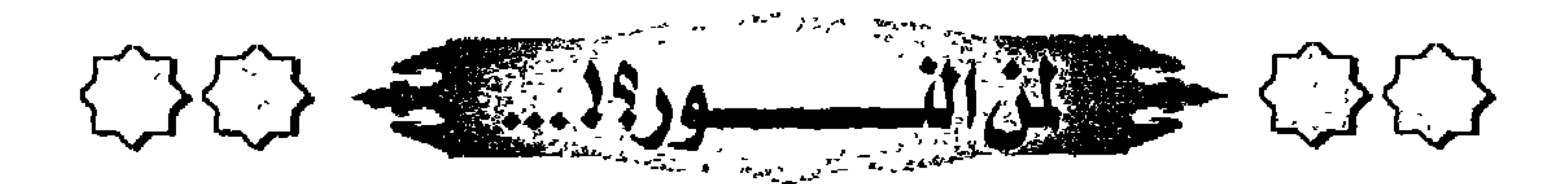


[في مؤتمر القمة العربي سنة ١٩٦٧م]

تلاقَوْا، فأَنْعِمْ باللقاء وأحْبِبِ
فما عاد شاميٌّ هناك ومغربي
فنحن أشقاء المصير وكلُّنَا،
لِكلٍّ أخٌ في الجُرح والأُمّ والأب
يُوَحِّدُنَا أصلٌ وأرضٌ ومنطقٌ
وقُدسِيَّةُ الإيمان بالله والنبي
ويجمعنا ماضٍ تليدٌ وحاضرٌ،
يناشدنا تجميع نابٍ ومخلب
لِسَحْقِ ذِئابٍ دَنَّسُوا طاهر الحِمَى
وظَنُّوا التهَامَ العُرب ميسورَ مأرب



إسلاميات



[في ذكرى مولد الرسول ﷺ]

لِمَنِ النُّورُ يَغْمُرُ الأرجاءَ

ويُحيل الظلامَ فيها ضياء؟!

أَهُوَ الفجرُ قد تقدم جَيْشًا

رفَع النورَ في يديْه لِواء؟

أَهُو الصبح حائكًا عبقريًا

نَسَجَ الضوءَ للوجود رداء؟

أَهُوَ البَدْرُ قد تَفَجَّرَ نَبْعًا

مِن لُجَيْنٍ يُفَضِّض الصحراء؟

لا، فهذا الضياءُ يُسْكَبُ في الأعين

... هَدْيًا ورحمةً وشِفَاء

رَشَفَتْهُ العيون أعذبَ رِيٍّ
رَشْفَ صادٍ بالتيه صادفَ ماء
إنَّهُ نورُ وَجْهِ خَيْرِ وليدٍ
هَبَطَ الأَرْضَ باسمًا لألاءَ!!

***

ما لهذا النَّخِيل يَرْقُصُ كالصوفيِّ
... لَمَّا انْتَشَى وذابَ صَفَاء؟!
ما لتلك الجبال أضْحَتْ قلوبًا
في ضلوع الصحراء تُحْيي الرجاء؟!
ما لكلِّ القِفَار صارت رياضا
ثم أَضْحَى هَجِيرُها أَفْيَاء؟!!
أَتَرَاهُ الربيع تَنْسِجُ لِلْكونِ
... يداهُ غلائلا خضراء؟
لا، فإنّ الربيع يمكث حينا
ثم يُمْسِي هَواجرًا أو شتاء

والـربـيـعُ الـقـدسِيُّ خـلَّـدهُ الـلـهُ
لِتَبْقَى الحياة أسمى بَهَاء
لـيس هـذا الـربـيـع غَيْرَ وَلِيدٍ
جَعَلَ الأرضَ جَنَّةً فيحاء ! !

***

يا يتيمًا كالدُّرِّ سُدْتَ على اليُتْم
... ملايين أدركوا الآباء
يا عليمًا وما خَطَطْتَ حُروفا ! !
أَنْتَ أَعْجَزْتَ في الوَرَى العلماء
يا صبوراً على الأذى وله الأَنْفُسُ
... تَرْضَى بأَنْ يَكُنَّ فِداءَ ! !
يا فقيراً وبين جنبيك كَنزٌ
قد تَخَطَّى الثراء والأثرياء

قُمْ تـراهـم عَــمُــوا وصَــمُّــوا قلـوبا

وأنـينُ الـفــقــيــر شَقَّ الســمــاء

ولـقــد كُنْتَ من قليلك تَسْــخُــو

فــإذا عُــسْــرُهم يصــيــر رَخَــاء

كم قَــسَــمْتَ الأمــوال تَزْهَدُ فــيــهــا

ثـم تُعْطِي جــمــيــعــهــا الـفــقــراء

فــتــآخَى الجــمــيعُ وانْبَــسَطَ العــدل

... ظـلالاً وريـفَــةً بـيــضــاء

إنَّ حَـقَّ الـشــعــوب فـي أي أرض

أن يعــيــشــوا في أرضــهــم أحــيــاء!!

***

يـا رســولاً دعــا الـقـلـوب إلـى الحُـبِّ

... وأَنْسَى الخــصــام والـبــغــضــاء

أنتَ شَيَّدتَ بالتآلف للعُرْب

... صُروحًا تصافح الجوزاء!!

ثم دار الزَّمانُ وافترق القوم

... دُوربًا، ومُزِّقُوا أهواء

فَمَشَى النِّسْرُ كالزواحف في الأَرض

... يَجُرُّ العظامَ والأَشلاء

وَغَدَا القومُ كالقطيع شَتِيتًا

راحَ نابُ الذئاب فيهم وجاء

ثم قالوا: مَذَلَّةٌ واحتلالٌ

وأرادوا تَحرُّرًا وَجَلاء

وَمِنَ الجهل أن نكون شَتِيتًا

ثم نبغي تقدُّمًا وارتقاء

وَمِن الخِزي أن نعيش على القيدِ

... ونحيا في أرضنا غرباء!!



من أجل الحرية...

[في ذكرى الهجرة الخالدة]

ليس يحيا بها حياةَ الهوانِ
غيرُ عبدِ الأغلال والأرسان
فالنفوسُ الكبارُ تَرْتَخِصُ الروحَ
... ففيم الهوانُ بالأَوْطَان؟!
لا تَضِيق الدنيا الرحيبةُ بالحُرِّ
... ولكن يضيق عقلُ الجبان!!

***

هكذا قالها، وخاضَ المنايا
ثابتَ الخطو عبقريَّ الجَنَان

(*) سنة ١٩٥٥م.

ومضى والعِدَا تُحَدِّق فيه

مثلَ حُلم يَمُرُّ بالوسنان

وَسَرَى والظلام جاثٍ على القَفْر

... وصَمْتُ القبور في الكثبان

فإذا الضوء قد تَفَجَّر في البِيد

... بحارًا بعيدة الشطآن !!

وإذا الصمت في الكثيب هتافٌ

وغناءٌ مُوقَّعُ الأَلْحَان

وإذا الصخر في الجبال قلوب

خافقاتٌ برقَّةٍ وحنان

وإذا النخل في اعتناق كما غاب

... هيامًا في ضمَّةٍ عاشقان

وإذا الريح والعواصف أَنْسَامٌ

... رقاقٌ كأُنملات الحسان

وإذا الجَدْبُ في انبعاثٍ كأنْ ماسَ

... ربيعُ الزمان بين الجنان

وإذا الجنُّ كالملائكِ جُنْدٌ !!

ووحوشُ الفلاة كالحُملان

وإذا المصطفى وصاحبه النَّدْبُ

... بِمَنْجًى مِنَ الأَذى وأمان

إنَّ مَن يركب الصعاب إلى الحقِّ

... حَمَتْهُ كتائبُ الرحمن

***

يا نَبيَّ الهُدَى عزيزٌ علينا،

أن تَفِيضَ الدموعُ في المِهرجان

وعزيز عَلَى القريضِ إذا جاء

... حزينَ الإيقاع والأوزان

إنما الشِّعْرُ للمشاعر مرآةٌ

... وأين السرورُ من وجداني؟!

كم تمنيت أن أُغَرِّدَ لولا

ما بنفسي مِنْ ثاكلات المعاني

ها هو الشرق والبناء الذي كان

... قويّ الأساس والأركان

ها هو اليوم قد تهاوَى وعاثت

في حماه - واحسرتاه - يدان!!

فَيَدٌ مِنْ عِداه تطعن في الصدر

... ببيضِ الظُّبا وسودِ السِّنَان

ويَدٌ من بنيه تنهش في الظَّهْر

... بناب الحَيَّاتِ والأفعوان

يا نَبِيَّ الهُدَى شعوبك نهبٌ

بين تلك الكلاب والذؤبان

يا نبيَّ الهدى شعوبك تاهوا
في خِضَمٍّ بغير ما شطآن
فاسأل الله للحيارى نَجَاةً،
واهتداءً إلى شطوط أمان

***



فجـــران ...!!

[في ذكرى مولد الرسول العظيم ﷺ]

فَــجْـرَان قَـدْ لاحـا بِأُفق البـيـدِ
فـجـرانِ: فَـجْـرُ سَنًا ووجـهُ وليـد

غَنَّى لطلعـتـه الوجـودُ مَـلاحـنًا
قُـدسـيـةَ التنغـيم والتـرديد

وأقـامت الصـحـراءُ عُـرسًـا رَفْـرَفَتْ
كـلُّ الملائكِ فـوقَـه كـبُنـود

وتَـعَـانَـقَ الـنَّخْـلُ الرشـيـقَ وردَّدَتْ
سَـعْـفَـاتُهُ لحنًا كـصـوتِ العـود

(*) سنة ١٩٤٦م .

وتراقَصَ الجبلُ الوقورُ كأنَّهُ
سَكْرَانُ أُتْرِعَ مِنْ دَمِ العُنْقُودِ

وعلى فَمِ الغدرانِ رَفَّتْ بسمةٌ
نَشْوَى كبسمةِ فاتناتِ الغيدِ

وتَخَطَّرتْ هُوجُ الرياحِ كأنها
أنفاسُ زَهْرٍ أو عبيرُ وُرُودِ

وتَدَفَّقَ الضوءُ الرطيبُ مُفَضَّضًا
حُلَلاً تَزِينُ البِيدَ مثلَ بُرُودِ

فاليومَ ميلادُ الحبيبِ محمدٍ
واليومَ في الأعيادِ عيدُ

***

فجرانِ: فَجْرُ سَنًا ووجْهُ وليدِ
قد لاحَ ضوؤهُما بأُفقِ البِيدِ

في ليلةٍ رَكَعَ الزمان أمامها
والدهرُ حيَّاها بطول سجود
هي في الليالي الغُرُ مثلُ مَليكةٍ
وبقيةُ الليلاتِ مثلُ عبيد
هي ليلةٌ تَسْمُو على ضوءِ الضُّحَى
ولَكَمْ يفوقُ البيضَ بعضُ السُّودِ
كالقوم في السودان، فيهم سُمْرَةٌ
وأقلُّهُم يُفْدَى بألف يهودي

***

فَجْرَان قَدْ لاحا بِأُفق البيدِ
فجرانِ: فجرُ سَنًا ووجهُ وليد
هو رحمةٌ هبطتْ لتُصلح غابةً
يَشْقَى بها الحُملان بين أسود

هو سلسلٌ عــــذبٌ تدفَّق صــافـيــا
كـي يُـنـبـتُ الأزهـارَ فـي الجُـلـمـود

هـو ومـضـةٌ مِنْ نـور ربك أُرسلتْ
لـتُـنـيـرَ دنـيـانـا بـديـن خـلـود..!!

بـديـانَـةِ الـفـرقـانِ أَنْجَـعِ بـلـسـمٍ
لـشـفـاءِ عـالمنـا الـعـلـيـلِ المـودي

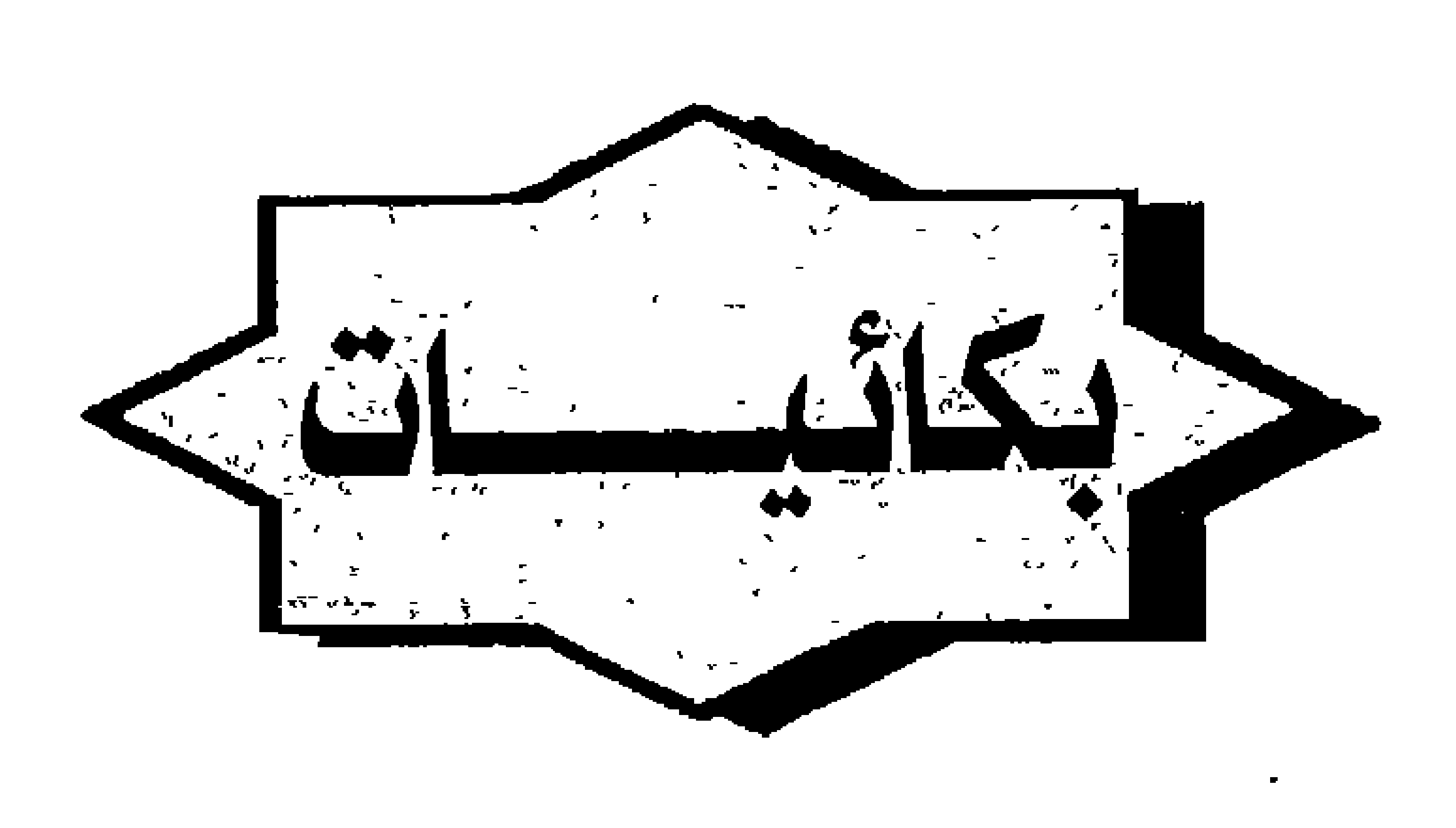
***

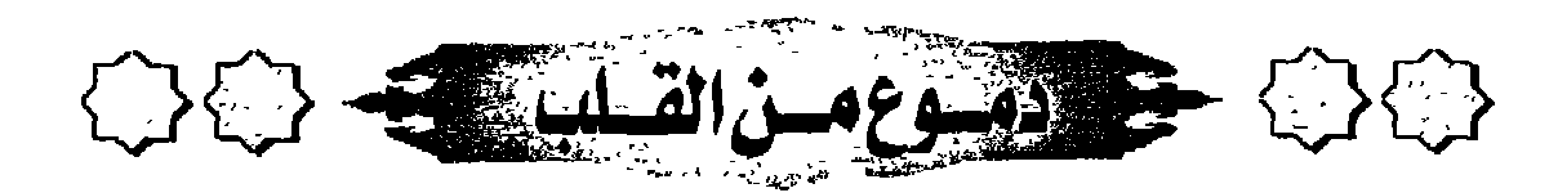
يـاخـيـرَ خـلقِ الـلـه، هـلاَّ نـفـحـةً
تـنـجـي الـعـروبـةَ مـن خـطـوب سـود

القـوم هـامـوا بـالخـصـام، وأرضـهـم
تـبْـغِـي الـتـحـرر من وثـيق قـيـود

فـمـتـى يـصـيـر بـنو الـعـروبة وحـدة؟!
ومـتـى يَـهُـبُّ الـقـوم بـعـد رقـاد؟!

لـنـعـود أحـرارًا ونـحـيـا سـادة..،
ونـعـيـش في عـهـد أَغَـرَّ سـعـيـد!!


بكائيات



[في رثاء صديق العمر الدكتور عبد الحكيم بلبع]

لكَ الأَمْرُ والتسليمُ في كلِّ ما تَقْضِي
فما شِئتَه يسمو على السخط والرفض

ولكنَّ حزنًا يَمْلأُ النَّفسِ ظُلْمَةً
فرحماكَ يانورَ السموات والأرض

يُعَذِّبني همٌّ كأَنَّ ضَواريًا
على قَلْبِي العَانِي تَسَابَقُ في الركضِ

مَضَى صنو عمري في رحابكَ تاركا
أخًا لم يكن في غير صحبته يَمْضِي

(*) سنة ١٩٧٧م .

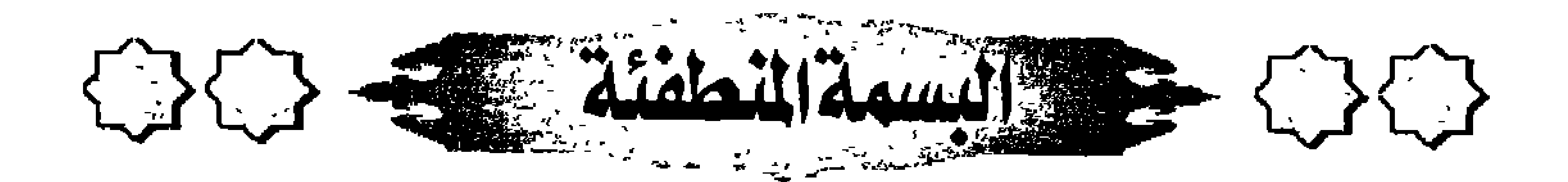
وقــد رَاحَ مَــأنوسًـا وخُلِّفتُ مـوحَـشًـا
أُفَــتِّش عن نفــسي وأبحث عن بعــضي

***

وكـان مـصـوغًـا من وفـاء ورقَّـةٍ
وإشـراق روحٍ مـثلِ مـبـتـسِم الروض
وكـان نبـيلَ النفس سـمـحًـا مُـحَـبَّـبًـا ،
لـه قلـبُ طـفـل مـا تَـلَوَّث بـالـبـغـض ! !
وكــان مُـضِـيء الـفـكـر يَـسْـطـع ذهـنـه
كـنجـمٍ نَـديٍّ الضـوءِ يَبْـسِـمُ بـالومـضِ
وكــان بـديـعَ الـقـولِ يَـنْـسِـج لـفـظَـهُ
مـن الـنُّـورِ والأَنـداءِ والـزهَـر الـغـض
له منطق ينسـاب عـذبًا ودافـقـا
كـمـا انسـابَ نَهْـرٌ قَـدْ تَـدَفَّقَ في فـيض

وكان مُحِبًّا للحياةِ وأَهْلِهَا ،
يُؤَمِّل نَهْبَ العمر بالطول والعرض
يَوَدُّ كئوسًا بالمَسَرَّاتِ أُترعت
وعَيْشًا كَعُرسِ الدهر ليس بمنفضٍّ
ولكنَّ لُؤْمَ الداءِ بَدَّدَ حُلْمَهُ
وأَورَدَهُ حوضًا ، ألا بئس مِنْ حَوض ! !
عليه سلام منكَ في الجنة التي
بها كلُّ ما يروي صَدَاهُ وما يُرضي
وَصَبْرًا لقلبٍ قد دعاكَ مُرَدِّدًا
«لكَ الأمر والتسليم في كل ما تقضي»

***



البسمة المنطفئة

[في رثاء الابن البار، الشاعر الموهوب هاشم الرفاعي]

فــــقْــــدُهُ جَلَّ أَنْ يُسَــــمَّى مُــــصَــــابَا

فلــقــــد كــــان مــــحنة وَعَــــذَابا

مِــــحْنَةً وَشَّــــحَتْ فُــــؤَادِي ســــوادا

وَعَــــذَابًا غَــــشَّى عــــيــــونِي ضَــــبابا !!

فــــرأيت الضُّــــحَى ظلامًــــا رهيــــبًــــا

والرياض الغَنَّاء قــــفــــراً يبــــابا

والســــماءَ الضّــــحُوك جُــــمــــجــــمةَ كُــــبرى

... وخُــــضــــرَ الرُّبا قــــبــــوراً خــــرابا

(*) سنة ١٩٥٩م.

ولآلِي النَّدَى دُموعًا غِزارًا.. !!

ولُجَيْن الصافي النمير سَرابا

إنَّهَا رَجْفَةٌ تُحيل رُؤى العَيْنِ

... وتُلقِي دون الحياةِ حِجَابا

إنَّ نَصْلاً أصاب «هاشمَ» غدراً

مالىءٌ مُدًى وحِرابا

***

فلقد كان فرحةً تُفعم «الدارَ»

... رجاءً وبهجةً وشبابا

ولقد كان بسمةً في فم النيل

... ولحنًا في سمع مصرَ عُجابا

ولقد كان للعروبة نايًا

يَتَغَنَّى بمجدها خَلاَّبا !!

يتَــغَنّى فــتــحــسب الوحيَ قــد عــاد

... فــأَمْلَى مِنَ الـقــريضِ كِــتَــابا

ولـقــد كــان - وَهْو بعــدُ هَزارٌ-

يَسْــبِقُ النِّسَــر للعُــلا والعُــقــابا

ولـقــد كــان - وهْو عُــودٌ رَطيب -

يَفْــرَعُ الدوحَ والجُــزوعَ الصِّــلابا

ولقــد كــان - وهْو نبعٌ صــغــيــرٌ -

يَزْحَمُ النَّهْــرَ هادراً والعُــبــابا !!

ولـقــد كــان - وهْوَ مــثل بنينا -

إنْ شَــدَا بَزَّنا وفــاق الصــحــابا

ولقــد كــان ... هل أقــول لقــد كــان؟

... مــحــالٌ، لقــد فــقــدت الصــوابا

كــيف يهــوى النجمُ السَّنِيُّ إلى الأرضِ

... ويُمْــســي تحت التــراب ترابا ؟ !

أنا يا ربُّ قد ضعفتُ عن الخطْبِ

... فصبري مِن الفجيعة غابا

غيرَ أنِّي بما تقدِّرُ راضٍ

كيف للعبد أن يسوق عِتابا ؟ !

***

يا شهيد البيان هذا بياني

ذاهل اللحن لا يُحِير جوابا

لم يَعدْ غيرَ أدْمعٍ تصهر القلب

... وتنصبُّ مِن يراعي انصبابا

ولقد كان قبل هذا غناءً

وكئوسًا مُشَعْشَعات عِذابا

كُنْتَ وَحيًا له فإمّا تَغَنَّيْت

... أَهَجْتَ الأَلْحان بِيضًا طِرابا

كم أَدَرْنَا من القوافي كئوسا
مُتْرَعَاتٍ تفيض فَنًّا عُجابَا !!

وسكرنا من خمرة الفن والشِّعر
... نَدَامَى مُطهَّرين شَرَابا !!

وصحونا - وليتنا ما صحونا -
لِنَرَى أنك اغتُصبت اغتصابا !!

***

ياشهيد البيان طِرْ في ذرا الخلد
... وخذ جانبَ الإله رِحابا

لَكَ مِنَّا السَّلام والذِّكر والدمع
... إلى أن نُرى هناكَ صِحَابا

***

جراح إفريقيا !!

[في مقتل الزعيم الإفريقي لومومبا سنة ١٩٦١م]

إفـريقـيـا ، مـا القـول للجـرح الـعـمـيق بمُسْعِف !!
مــاذا تُفــيــد مـع الجـراح بـلاغــة المتــفـلسـف ؟!
والقـلـبُ فـيــه قــد تَكَسَّــر أَلْفُ نصـلٍ مـرهف ؟!
والخَطْـبُ هَوْلٌ لا تـقــاومــه حُـشُــودُ الأَحْــرُفِ !!
إنّي حَطَمْتُ يَراعَتِي، وطَرَحْتُ عَنِّي مَعْزَفِي !!
ومـضـيتُ أُشْـحِـذُ رُمْـحِيَ المُردِي وحَـدَّ المشـرفي
لأَردَّ عـنك مـع الجـمــوع الـسُّــمـرِ كُلَّ تعــسُّف
ونـنال ثَـأرَك أو نموت فنســتــريحَ ونشــتــفي !!

***

إفـريقـيـا ، سـفكوا دمـاءك فـاثأري أو فـانزفي !!
ثوري كـإعـصـارٍ، وهُـيِّ كـالـزعـازعِ، واعـصـفي
هيّـا إلى أَمـضَى الحِـرابِ، وأَشـرِعـيـهـا وازحـفي

كالسيل، كالطوفان، كالبركان، بالحُمم اقذفي
دُقِّي طُبولَكِ كالرعودِ، وزلزليهم، واقْصِفِي
كوني لهم نارًا كنار جهنمٍ لا تنطفِي !!
حتى تَلَقَّفَهمْ وقودًا في لظاها يختفي

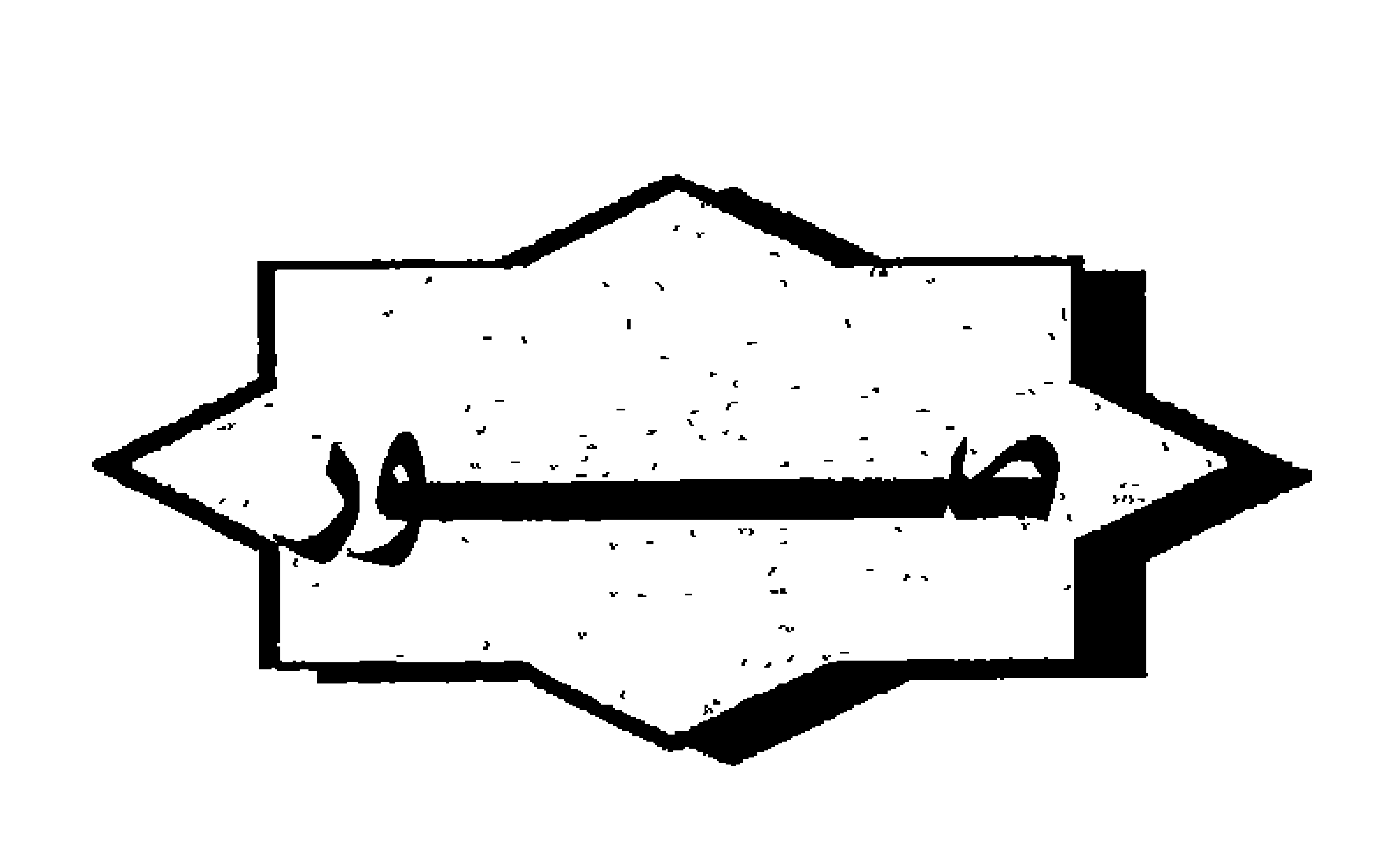
***

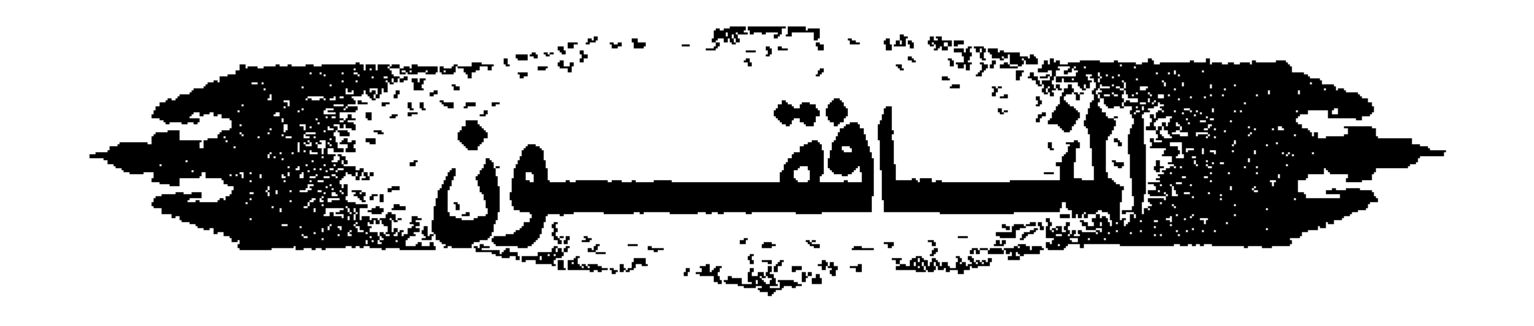
إفريقيا، قتلوا «لومومبا» الحُرَّ، لا ، لا تذرفي
دَمْعَ الثَّكَالَى، بل أبيدي قاتليه وانسفي !!
فالدمعُ ما أَخَذَ الحقوقَ لنائح مِنْ مُجْحِفِ !!
لم يَبْقَ للحقِّ الشهيد سِوَى الظُّبا مِن مُنْصِفِ !!

***

إفريقيا، سَبَقُوا إلى العُدْوَانِ، لا تتخَلَفِي
لا تَصْبِري، لا تَهْدَئي ، لا تَقْصدي، بل أسرفي
لا ترحمي الباغي؛ فتلك سياسة المستضعَف
قد أينعتْ هام العدا ، فاجني ثِمَارَكِ واقْطُفِي !!

***


صــــــور



أَبَدًا أراهمْ مِثْل قُطعانِ العبيدْ

يَتَسَابَقُون إلى السَّلاسِل والقيود

ويُزيِّفُون الودَّ لِلْمَوْلى الجديد

والحقدُ يَجْرِي في دِمَاهم كالصَّدِيد

هُمْ وَصْمَةُ الإنْسَانِ فِي كُلِّ العُهُودِ

***

أبدًا أراهم يَلْهَثُون على الطريق

مِثْلَ الأَفاعِي حين تَلْفِظُهَا الشقوق

هيهاتَ أن يَنْسَوْا تقاليدَ الرقيق

(*) سنة ١٩٥٧م .

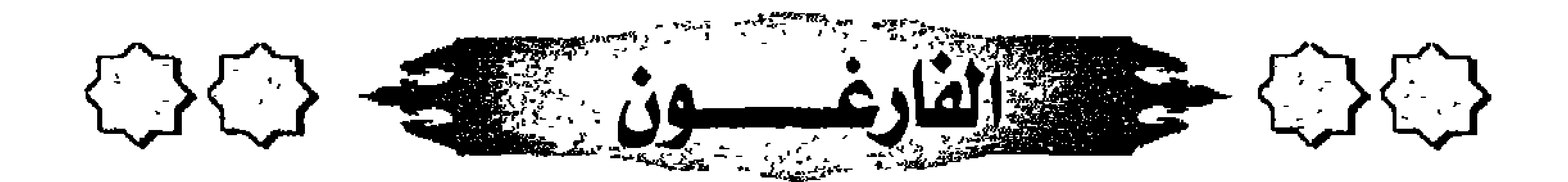
ومَــهَــانَةً زَحَــمَتْ دِمَــاهم في العــروق
فَلَهُمْ بِمَــاضِي الذُّلِّ تاريخ عــريق

***

أبدًا أراهم مِــثْلَ أوحــال الشــتــاءْ
يتــجــمــعــون ويرتمون على الحــذاء
ويُعــوِّقُــون خطًا تَحَــفَّــزُ للمــضــاءِ !!
ويُحَــدِّثونكَ في الكرامــةِ والإباء
كــاللص يُفــتِي في الأمــانة والوفــاء

***

أبدًا أراهم والتــرابُ على الجِــبــاهْ
مِنْ سَــجْــدَةٍ تُزْجَى إلى غَــيْــرِ الإله
والبســمْــةُ الصَّــفْــرَاءُ تَجْــمُــدُ في الشِّــفَــاه
والنَّظْرةُ العــمــيــاءُ عن شَــرَفِ الحــيــاهْ
فــأَضِــيقُ بالأقْــزام صُنَّاع الطغــاهْ



الفارغــــون

مِــثْلَ طَبْلٍ أجْـوَفِ الأعْـمَــاقِ صَــخَّــابِ الرَّنِين
وذُبَابٍ أحْـــمَقِ التـــحْلِيق مـــرذولِ الطَنِين
يُرهقـــون السَّـــمْعَ مِنْ لَغْـــوٍ ويُقـــذون العيـــون
بين زَمِّ الفَمِّ في حِـــذقٍ وتقطيبِ الجـــبين
وابتســـام العـــارف اللمـــاح والثـــبت الرَّزِين !!

***

إنْ تَـسَلْ أفـــتَـــوْا سِـــراعـــا بالذي لا يُعْـــقَلُ
بل أفـــاضـــوا في جـــهـــالاتٍ وإن لم يُســـألُوا
يحـــســـبــون الوحي قـــد أَضْـــحَى عليـــهم يَنْزِل

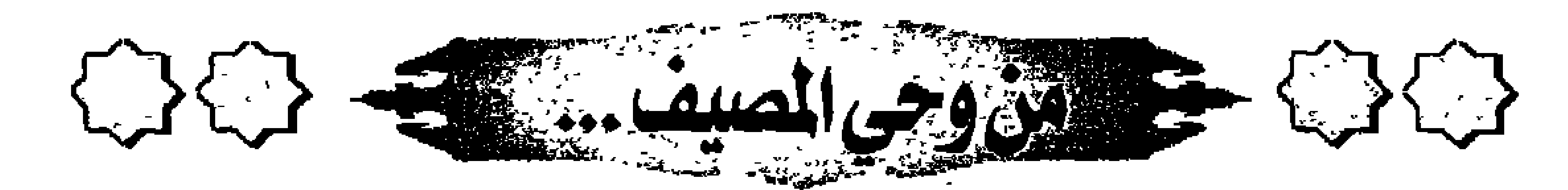
(*) سنة ١٩٦٢م.

وهْو وَحْيٌ مُلهِمٌ بالجهل مَنْ لا يَجْهَلُ
إنَّهُم ظَنُّوا الرِّيَاحَ الهُوجَ خَيْطًا يُغْزَلُ

***

قد عَلَوْا، لكن كما يعلو إلى الجوِّ الهباءْ
وارتقوا، لكن كما يَرْقَى على السيل الغُثاء
بل طَفَوْا كالجيفة النَّكْراء من غير حياء
في انتفاخِ مُنْتِنِ التِّيهِ زَرِيّ الكبرياء
ما لدودٍ تَزْدَرِيه الأَرْضُ أنْ يَرْقَى السَّمَاءِ !!

***



[من وحي أول زيارة لرأس البر]

أَتْرِعِ القلبَ من سُلافٍ حلالِ
وارْوِ قلبًا قد أظمَأته الليالي
غَافِلِ الدَّهرَ ساعةً وَتَنَقَّلْ
بين ظِلٍّ وكَوْثَرٍ سَلسَالِ
هذه جَنَّةٌ دَعَوْهَا مَصِيفًا
أسكرتْ خَافِقي وأذكتْ خيالي
شادَها الله كي نُشاهِدَ فيها
لجنان الخلود خير مِثال
ولو أنَّ الجِنَانَ صِيغَت كَهَذِي
لكفَي صَوغُها بهذا الجمال

(*) سنة ١٩٤٦م.

ها هو البـــحـــرُ في لِسَـــانِي أُجـــاجٌ !!

وبقـلـبـي مــــــذاقـــــه كـــــالـزُّلاَلِ

صَــفْـحَــةٌ تُـشـبـه الـسَّــمَـاءَ صـفـاءً

قـــد أضـــاءت بُـخـــرَّدٍ كـــاللآلـي

يَحْـــتَـــضِنُّ الخِـــضَمَّ وَهْو غَـــضُـــوبٌ

يُرْسِلُ الموجَ عـــاليًـــا كـــالجـبـــالِ

فـــتـــراه كـــعـــاشق قـــرَّ عـــينًا

بـحـــبـــيـب أمـــدَّه بـالـوصـــال

هـادئًا يَـغْـــمـــر الحـــســـانَ بـلـثـم

وعنـاقٍ يثـــيـــر حِـــقْـــدَ الرِّجـــال

***

وَبَـدا الـشـــاطئُ الـبـــديعُ كـــروضٍ

بـورودٍ مِـنَ الـعَـــــرَائِـس حـــــالِ

نــائـمـــــــات يُـوقـظـنَ كُـلَّ فـــــــؤادٍ

جــــالســـــات مع الـهـــــوى والـدلال

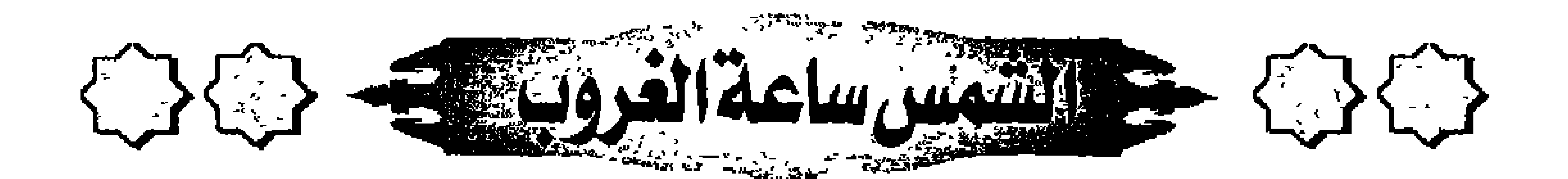
خــــاطرات مــــثل الـنـســـيـم رُخــــاءً

مــــائـســــات في فــتـنةٍ واخـــتـــيـــال

فــوق صــدر الرمـــال مــســتلقـيـــاتٍ

فــــارشَــفِي الحُــسْنَ ياشــفـــاه الرمـــال

***



الشمس ساعة الغروب

أعاشِقَةٌ راحت إلى الخِدْرِ تُسْرِع
تَلاقَتْ بِمَنْ تَهْوَى وَها هِيَ تَرْجِع ؟ !
تمِيس بأَثْوابِ اللقاء قَشيبة
وتبدو كما يبدو اللهيف المروَّع
وفي وجهها رَقَّ الشحوبُ كأنَّهَا
تُحِس ببعض العاذلين فَتَفْزَع ! !
وإلا فهل هاتِيكَ ساحرةٌ لها
مِن الفَنِّ ما يَسْبِي العقولَ ويُمْتِع ؟ !
تُغَيِّر ما تَهْوَى بكفٍّ قديرةٍ
لها مَعْدِنُ الأشياء بالسِّحْرِ يخضع

(*) سنة ١٩٤٧م .

أحَالت تراب الأرض تِبْراً مُنَضَّراً
يراه اليهوديُّ الشحيحُ فيطمع !!

وصاغت مياه النهر نُوراً مذوَّباً
كما لألأ الكأْسَ الرحيقُ المشعشَع

وزانت رؤوسَ الشامخاتِ كأنَّها
عليها من اليَاقُوتِ تاج مُرَصَّع

وحاكت لِدُنْيَانَا غَلائِل نومِها
مُهَفْهَفَةً حَمْرَاءَ بِالحُسْنِ تَسْطَع

وَخَلْفَ سِتَارِ الأُفْقِ غابت وحُسْنُها
هي الأرض فَيْضٌ ما خَلاَ منه موضع

رُوَيْدَكِ أُمَّ النُّورِ تَفْدِيك مُهَجتي
وأَرْجُو - لَعَمْرِي - أَنْ يَرُدَّكِ «يُوشَع»

***

تَبَـــــارَكَ مَـنْ تِـلْـكَ الـكَـوَاكِـبُ تَـنْـحَـنِـي
لـديـه فَـــتَــحْـــسُــو مِنْ ضِــيَــاهُ وتُـتْــرَع

وَمَنْ شَـــادَ مِن تلـك الـطـبــيــعـة مَـــعــبــدا
تُـسَـــبِّــحُ فـــيــــه الرُّوحُ والـقـلـب يـركـع !!

فـــأين عـــيــون الجـــاحــدين تُرَى مـــعي
جـــمـــالَ غــروبِ الشـــمس وهـي تُـودّع؟!

فـلـيس كـــهـــذا الـفـن لـلـقـلـب شـــاهدٌ
عـلى أن هـذا الـكـون يـرعـــاه مـــبـــدع !!

***



لفتة كريمة...

[تحية إلى الأستاذ الدكتور طه حسين...
وكان قد اختار الشاعر عضواً في أول بعثة مصرية إلى العاصمة الإسبانية يوم كان الأستاذ العميد وزيراً للمعارف ١٩٥٠م]

لفتةٌ منك يا عميد البيانِ
عبرتْ بي إلى ضفاف الأَمَانِي
فإذا كلُّ ذَرَّةٍ من كياني
قد تَغَنَّتْ بالحمد والشُّكْرَانِ
وإذا فَرْحَةٌ تفيض على النَّفْسِ
... وتُعْيِي يراعتي ولساني
آهِ لو تَنْطِقِ القُلُوبُ فِصَاحًا
لَيُهزَّ الأَسْمَاعَ صَوْتٌ جَنَانِي

ياوزيراً فَكَّ العقولَ من الأَسْرِ
... وأَعْلَى كرامة الإنسان

كمشاع الضياء أهْدَى لنا العلم
... وأجْرَى مناهل العرفان

يامحيلَ الظلام فَيْضًا من النُّورِ
... هو البَّحْر ما له شاطئان

أيُّ جَدْوَى لأعين مبصرات
ظاهرَ الشيء، دون سَبْرِ المعاني؟!

أَنْتَ أَبْصَرتَ بالفؤاد وبالروح
... فماذا لو تُغْمِض العينان؟!

أنت أدركت كُلَّ سِرٍّ خَفِيٍّ
بذكاء الإلهام قبل العِيان

أيُّ جَدْوَى لأعينٍ تألفُ القيد
... وتُغْضِي على ذليل الهوان؟!

أنت حَطَّمْتَ كل قَيْدٍ عَتيٍّ

وجَعَلْتَ الهوان للطغيان

حين أغْفَتْ عيونُ قوم نهارا

فتهاوَوْا في عالمِ النسيان

وَوُهِبتَ الخلود تأخذُ منه

بين أهل الخلود أعلى مكان

***

يا أديبًا أقام صرحًا من الفنِّ

... كتاجٍ على جبين الزَّمَانِ

كل سَطْرٍ تَخُط نَفْثَةُ سِحْرٍ

وسُلافٌ تُدار للندمان

كلُّ لَفظٍ تصوغ يَسْمو على الدُّر

... ويُزهَى على كريمِ الجُمَانِ

سوف تَبْقَى لأمَّةِ النيل فخرا

ما جرَى النيلُ أو سما الهرمان

***

ياعميد البيان ليس بياني

غير حُبٍّ يفيض من وجداني

ليس شعري الذي يُصَوِّر معنًى

مِنْ مَعَانيك يارفيع المعاني

***

الفهرس

***

من تراث الدكتور أحمد هيكل

(أ) كتب ودراسات:

* **الأدب الأندلسي**

من الفتح إلى سقوط الخلافة

* **تطور الأدب الحديث في مصر**

من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية.

* **الأدب القصصي والمسرحي**

من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية

* **دراسات أدبية.**

* **قصائد أندلسية.**

* **محاضرات عن الإسلام «بالإسبانية»**

* شخصيات أدبية .

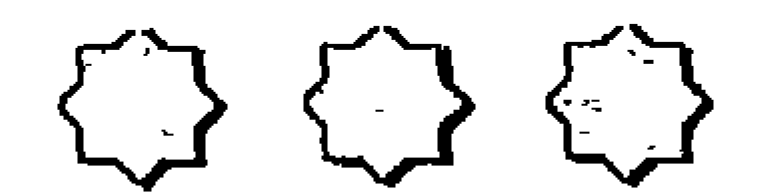
* سنوات وذكريات .

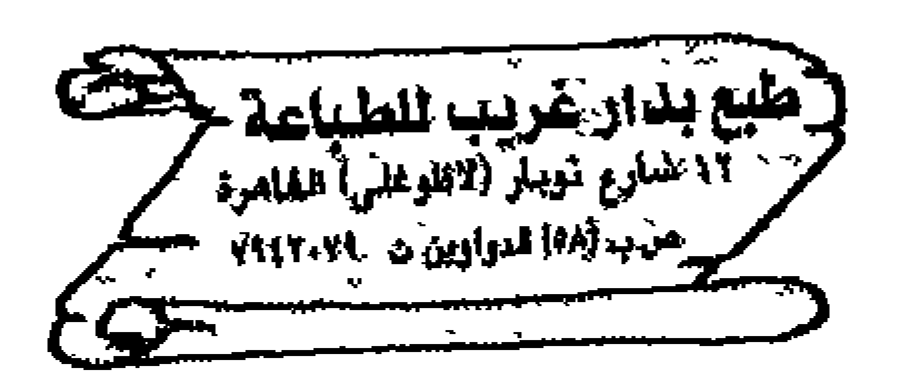
* سيرة ذاتية .

(ب) دواوين شعرية:

* أصداء الناي .

* حفيف الخريف .






Bibliotheca Alexandrina
1159828